

7 نوفمبر 2010 موعد للفرحة

ومنطلق لمرحلة جديدة من النجاحات

بقلم: البشير الأخضر

إنّ موعد الاحتفال السنوي بذكرى تحوّل السابع من نوفمبر 1987 يعتبر موعدا للفرحة بهذا الحدث العظيم الذي عاشته البلاد منذ 23 سنة واستحضار الوضع الخطير الذي آل إليه مصير البلاد في تلك الحقبة التي هيمن عليها التكالّب على الحكم واستغلال الوضع الصحي للزعيم الحبيب بورقيبة وتبنيّ خطته مما بعث الخوف والحيرة في قلوب التونسيين الوطنيين الذين انبرى من بينهم الوزير الأول آنذاك سيادة الرئيس زين العابدين بن علي لإنقاذ البلاد معلنا عن انبثاق السابع من نوفمبر وعن فتح عهد جديد توضحت سياسته من فقرات بيان السابع من نوفمبر.

الآن وبعد مضي ثلاثة وعشرين سنة عن التغيير أصبح هذا الموعد مناسبة للتقييم والوقوف على الانجازات المهمة التي تحققت لتونس العهد الجديد في كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي جلبت لبلادنا تقديرا عالميا واسعا لا سيما من خلال المبادرات الرائدة لسيادة الرئيس زين العابدين بن علي والتي كان من

أبرزها إحداث الصندوق الوطني للتضامن الذي مثل آلية بارزة لتغيير أوجه الحياة في الريف التونسي برفع العزلة عن عديد المناطق والمساهمة الفاعلة في تحسين ظروف متساكنيها وكذلك الدعوة لتنظيم قمة يجتمع المعلومات واحتضان بلادنا لجزئها الثاني والذي مثل حدثا تاريخيا أسس لسياسته هدفها الأول الحدّ من اتساع الهوة الرقمية والاتصالية بين الشعوب المتقدمة وبقية الشعوب الفقيرة والسائرة في طريق النمو.

المبادرة الثالثة ذات البعد العالمي هو دعوة تونس لتنظيم السنة الدولية للشباب التي نعيش الآن على وقعها ونلمس مدى قيمتها وأهميتها في فصح مجال المشاركة الواسعة للشباب في الحياة العامة.

في موعد الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة لا يمكن أن ننسى ما شهده القطاع الثقافي من اهتمام وعناية من خلال ما تشهده البلاد من إنجازات هامة في إطاره سواء ما تعلّق بدعم البعثات والتجهيزات وخصوصا إنشاء مدينة الثقافة ودعم المهرجانات ودفع واضح للمؤسسات الثقافية ورعاية بارزة لأهل الفكر والفن والثقافة.

من الصعب في مثل هذه المساحة إعطاء التغيير حقه لكن تبقى هذه الورقة غيضا من فيض فإشعاع التغيير بارز لكل ذي عقل رشيد ومواصلة نجاحات التغيير مسؤولية الجميع تحسيما للبرنامج الانتخابي لسيادة الرئيس زين العابدين بن علي الذي كان شعاره "معا لرفع التحديات".

في مائوية العلامة البحر:

شيخي محمد الفاضل بن عاشور:

لماذا تألق؟ وبماذا تميّز؟

بقلم : الأستاذ عبد العظيم الصغير

في روافد تكوينه :

تلقى الشيخ الفاضل تكوينه في البيت العاشوري ثم في جامع الزيتونة



كما كان لنشاطه في

النوادي والجمعيات أهمية

في صقل مواهبه، إضافة

إلى انخراطه المبكر في الخط

التنويري الذي قادته

شيخاه محمد النخلي

ومحمد الطاهر ابن عاشور

وما علق بنفسه من

انطباعات ايجابية في

زيارته لفرنسا صحبة

والده الحضور موكب

تدشين جامع باريس وعمره لم يتجاوز السابعة عشرة.

ففي البيت حفظ القرآن الكريم ومتون الألفية والأحرمية والشعر وفي

البيت أيضا درس النحو والصرف والبلاغة وحذق القراءات وتمكن من علم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم التوحيد وعلوم الحديث... كما تعلم الفرنسية...

واختار له والده مجموعة من المربين لتنشئته وعلى رأسهم الشيخ معاوية التميمي :

اختار ابنه الفاضل عالما كبيرا لتنشئته، يزخر بالمعرفة وأدبيا مرهفا

الحس هو الشيخ معاوية التميمي " (1)

كما أن الشيخ الفاضل من رواد المنتدى الأدبي للشيخ معاوية بمقام سيدي القبة بنهج تربة الباي بتونس حيث كان يجتمع مع شعراء وأدباء تونسيين وجزايريين مثل سعيد الزاهري ومبارك الميلي وعبد السلام السلطاني وعبد العالي الأندري (من الجزائر) ومحمد بوشريه ومحمد ماضور ومحمد فائز القيرواني (من تونس) (2).

وفي الجامع المعمور تلقى العلم عن أساطينه امثال الشيخ محمد بن يوسف وعثمان ابن المكّي ومحمد ابن الخوجة ومحمد مناشو وبلحسن النجار ومحمد العزيز جعيط...

ولوالده أثر بارز في بناء شخصيته الفكرية فقد أخذ عنه العلم في البيت وفي الجامع وتأثر بخطه الإصلاحي : "وقرأ عليه بجامع الزيتونة مدة خمس سنين تفسير البيضاوي والموطأ وديوان الحماسة واقتبس من ملازمته وخدمته سفرا وحضرا رايا وعلمها وهديا..." (3).

ومعلوم أن الشيخ ابن عاشور هو الذي قاد التيار التنويري بجامع

الزيتونة متناغما مع دعوة الأستاذ الإمام محمد عبده في مصر حيث إنخذ من التربية والتوعية وسيلة لتحقيق النهضة والرقى.

وقد تجلّى البرنامج الإصلاحي للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور من خلال كتابه "أليس الصبح بقريب" وكذلك من خلال المنظومة المتكاملة التي طبّقها عندما أعيد تعيينه على رأس مشيخة الجامع الأعظم وفروعه سنة 1945 سواء من خلال ما اقحمه من مواد عصرية كالفلسفة والجغرافيا والعلوم الصحيحة واللغات الحية أو من خلال تحديث الوسائل التربويّة وتوفير التأليف أو من خلال تحسين الظروف المعيشية للطلبة الزيتونيين وفتح الآفاق أمامهم وتنظير شهادتهم لتسهيل اندماجهم في الوظائف ... وقد كان الشيخ الفاضل متفاعلا مع نضالات والده مشجعا للأحداث على الساحة العربية والعالمية خاصة بعد سقوط الخلافة متناغما مع مظاهر المدّنية العصرية معجبا بما حققه الآخر من تقدّم (4).

نشاطه الثقافي :

تعددت أنشطته الثقافية فقد كتب المقالات المتعددة في الجرائد والمجلات داخل تونس وخارجها فساهم في تأييد مجلة الندوة ومجلة المباحث ومجلة العالم الأدبي والمجلة الزيتونية وكتب في الأدب والنقد والتاريخ وكتب في المناسبات الدينية وفي الأحداث الوطنية والعالمية وترجم لشخصيات فكرية وقضاة وفقهاء كما كانت له أحاديث إذاعية منذ تأسيس الإذاعة الوطنية إلى سنة وفاته ومن مقالاته نذكر بعض

العناوين : البكاء في الشعر العربي- قصد أبي العلاء من رسالة الغفران- أذب عبد الحميد الكاتب- الأديب شكيب أرسلان كثر المجد العربي- العالم الإسلامي وسكة الحديد الحجازية- مشكلة الهند الصينية ونواحي أهميتها- كيف نشأ احتفال المولد ببلاد الإسلام ؟ عاشوراء - الحضارة الإسلامية في صقلية- لمحات من صور الحياة الدينية لدى قصور الحسينيين.

وأما التراجم فقد ترجم لخير الدين والجنرال حسين ومحمود قبادوا وسالم بوحاجب ومعاوية التميمي وعبد العزيز الثعالبي... وقد جمعت هذه التراجم في أكثر من كتاب لعل أهمها تراجم الأعلام الذي طبعته الدار التونسية للنشر سنة 1970 في أربعين الففقد.

أما محاضراته فقد كانت في مجالات متعددة وأول محاضرة له كانت بالخلدونية حول القاضي الفاضل سنة 1928 ثم تالت هذه المحاضرات في التاريخ العربي وخاصة فلسطين وفي القانون المدني وفي الأدب وفي التصوف وفي الدراسات القرآنية وفي المذاهب الفقهية...

على ان أزهى فترة لنشاطه الثقافي هي العشرية التي قضاها رئيسا للخلدونية (1945-1955) فقد بعث في الخلدونية : معهد البحوث الإسلامية والمعهد العربي للحقوق زمعهد الفلسفة بالإضافة إلى إحداثه للباكالوريا العربية.

وقد برز الشيخ الفاضل بمحاضراته بمعدل محاضرتين كل اسبوع حيث كان يحلل أفكاره الإصلاحية ويعرّف بالحركات التحريرية في

العالم الإسلامي إذ كان يهدف إلى التعريف بالثقافة الإسلامية والتوعية بموضوع الجامعة الإسلامية وقد قسّمها إلى أربع وحدات :

الوحدة العربية الوحدة التورانية - الوحدة الإيرانية والوحدة الهندية.

كما القى مجموعة من المحاضرات حول "فلسطين الوطن القومي للعرب" وقد جمعت في كتاب تمّ طبعه بمطبعة الشريف بتونس ونشره الأستاذ علي الجندوبي سنة 1948.

كما دعا الشيخ الفاضل إلى عقد مؤتمر الثقافة العربية بتونس حيث تولى الكتابة العامة وترأس المؤتمر صديقه فضيلة الشيخ محمد المختار بن محمود وفي ذلك يقول أمير شعراء الخضراء محمد الشاذلي خزندار :

حيثك مؤتمر الثقافة نحية

من فاضل فيها ومن محتلو (5)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وكان من المشاركين في المؤتمر جمعية علماء الجزائر وجمعية عمر المختار من ليبيا وعلماء من المغرب ومصر وسوريا ولبنان... وشخصيات تونسية بارزة في مقدمتهم الأستاذان الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف...

وقد دعا الشيخ الفاضل إلى تحذير الثقافة العربية الإسلامية وإلى توظيف المجد التليد للنهضة والتحرر : إذ إنّ مقاومة الاستلاب الثقافي هو واجهة أخرى لمقاومة الاستعمار وجمع كلمة المسلمين.

كما كان للشيخ الفاضل نشاط حثيث في المؤتمرات العلمية خارج تونس فقد قدّم بحثا بالفرنسية إلى مؤتمر المستشرقين الذي انعقد

باسطنبول سنة 1951 بعنوان نسخة فريدة من كتاب مجهول لابن حزم الظاهري ثم تولى ترجمته إلى العربية ونشره بالمجلة الزيتونية على حلقات. كما تولى إلقاء محاضرات على طلبة معهد الدراسات العالية بالقاهرة سنة 1955 وقد طبعت في كتاب : "الحركة الأدبية والفكرية بتونس"

وفي المغرب الأقصى القى العديد من المحاضرات جمع بعضها الأستاذ عبد الكريم محمد في كتاب المحاضرات المغربية. وفي القاهرة حاضر عن ابن خلدون وفي بغداد حاضر عن الكندي

وفي تونس حاضر عن الغزالي وعن اللغة العربية وعن روح الحضارة الإسلامية وعن موقف الدين من العلم والأخلاق.

وكان في كل ذلك يملك أفئدة الناس بأسلوبه الأخاذ وتحليله العميق ولغته الفصيحة ومنهجه المتميز.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في التدريس والعمادة :

درس الشيخ الفاضل في الزيتونة والصادقية والخلدونية والمدرسة العليا للحقوق وكلية الحقوق بتونس وامتدت فترة تدريسه أكثر من أربعين سنة حيث لم ينقطع عنها حتى اثناء توليه خطط الإفتاء والقضاء والعمادة...

وقد درس العقائد والفرق وأصول الفقه والفقه وتاريخ الأديان والتفسير والحديث كما درس الأدب والبلاغة والنحو والصرف وكذلك تاريخ التشريع والقانون المدني يقول عنه تلميذه الدكتور محمد الحبيب بلخوجة : "وجدنا علامة بحرا يحدثك عن كل شيء يحاضر في

كل شيء فمن درس في اللغة او في الأدب إلى تقارير في التفسير والعقيدة ومن بحث في الملل والمذاهب العقدية إلى محاضرة في الاجتماع وأصوله والعمران البشري ودعائمه ومن بيان وتوضيح للفروع الفقهية الحكمية... (6).

وهذا محمد محفوظ يذكر : "... سمعته يدرّس مقدمة ابن خلدون فكانت أسماء الفلاسفة : كأوغست كونت وكارل ماركس تدور على لسانه مقارنا بين آرائهما وآراء ابن خلدون" (7)

وقد وهبه الله قدرة عجيبة على الإلمام بدقائق الأمور في المحاضرات والدروس التي كان يلقيها أرتجالا ومعظم ما كتبه هو جمع لها : "... وجلّ ما نشر من مؤلفات الشيخ الفاضل غنما هو مجموعة دروس او محاضرات القاهل أو بحوث اهداها لخلوة أو مؤتمر... (8).

لذلك تعلق به تلاميذه فقد كان يخاطب العقول ويوجه النفوس لأن دروسه كانت رسالة في العلم والصلاح ولم تكن حصصا تنجز إذ أنها كانت تتميز بطابع خاص يقوم على عمق التدبّر وسلامة المنطق وحسن البيان : "والحق ان الشيخ الفاضل كان من الرجال الذين يطبعون تلامذته بطابع المعرفة (...) وكانوا يتلقفون كلماته بكل عناية وتعطّش" (9).

وإذا كانت دروسه تهدف إلى الإصلاح المقترن بالعقيدة المتفاعل مع تطور الحياة فإن روح البرامج التي سطرّها عندما تولّى عمادة الكلية الزيتونية كانت تؤسس لهذه الرؤية وتضع لها الدعائم وهو ما يتجلى في

المناهج التي أرساها : "... من واجب الانتباه إلى أمر الدين وتثبيت أركانه ودعم هيكله وحسن البصر في مجال الحياة من حوله..." (10) وقد كان حريصا على تمكين الطلبة من الجمع بين المدونات التراثية والمناهج العلمية الحديثة في آن واحد بما ينسجم مع الهدف المرسوم وهو تخريج إطارات ذات كفاءة وإشعاع متشعبة بالفكر الإسلامي ومستترة بالحدثة... تجمع بين الأصالة بدون تحجر ولا انفلاق وبين المعاصرة بدون ذوبان ولا إنبتات يتناغم فيها الاعتزاز بمقومات الحضارة العربية الإسلامية والتفتح على الآخر وقبول الرأي المخالف.

وقد ساعده لتنفيذ هذه الخطة نخبة من شيوخ الزيتونة أمثال السادة احمد بن ميلاد والعربي العنابي وعبد العزيز بن جعفر واحمد المهدي النيفر ومحمد المختار بن محمود ومحمد الهادي بالقاضي إلى جانب بعض رجال القانون مثل الأستاذ الطيب بسيس... والعديد من الإطارات العالية المتخرجين من الجامعات الشرقية أو الغربية من أمثال الدكتور محمد الحبيب بلخوجة واحمد بكير وعلي الشابي ومحمود عبد المولى ...

كما أرسى في الزيتونة تقاليد تبادل الخبرات والتنسيق مع الجامعات المماثلة في العالم الإسلامي وذلك بدعوته لبعض الشخصيات العلمية المشهود لها بالكفاءة كأستاذة زائر من أمثال الدكتور محمد الهادي أبو ريدة والدكتور عبد الحليم محمود والدكتور صبحي الصالح...

وقد شهد أهل الخيرة بقيمة البرامج التي وضعها الشيخ الفاضل فنوهوا بها ودعوا إلى الاقتباس منها : "وعندما دعاني لإلقاء محاضرات

في المدخل الديني أرسل إلى المنهج الرسمي للكلية وما إن امنت النظر فيه حتى أعجبت به وهو جدير بأن ينقل إلى الكليات الإسلامية لما فيه من المنهجية العصرية والبرمجة التي تجمع بين المعقول والمنقول" (11).

نضاله الاجتماعي والسياسي:

بدأ نضاله في وقت مبكر حيث قدّم ورقة عمل حول إصلاح التعليم الزيتوني في مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين الذي انعقد بتونس سنة 1931 برئاسة فرحات عباس وتولى الشيخ الفاضل الكتابة العامة للمؤتمر. أما في الخلدونية فقد بدأ فيها نشاطه منذ انضمامه إلى مجلسها الإداري وبلغ نشاطه أوجه عندما انتخب رئيساً لها بعد وفاة الأستاذ عبد الرحمان الكعاك سنة 1945 واستمرّ في هذه المهمة عشرة سنوات استقطب فيها العديد من الكفاءات الوطنية للمشاركة في إلقاء المحاضرات والدروس في مجالات القانون والفلسفة والعلوم الصحيحة وكلها باللغة العربية : البعض من هذه الكفاءات متخرج من الجامعات الفرنسية والبعض الآخر من الجامع الأعظم لكن خلدونية الفاضل ومحبة الوطن هي التي جمعتهم للتأسيس لتونس حرة عصرية متصالحة مع هويتها العربية الإسلامية فكان التركيز على شؤون العالم الإسلامي. أما المواد فأهمها :

القانون الدولي العام - الاقتصاد السياسي - القانون الدستوري الفرنسي والأنقليزي - التشريع الإسلامي - الفلسفة - علم النفس - الرياضيات - الفيزياء والكيمياء...

ومن الذين شاركوا في إنجاز هذه الدروس السادة الطيب العنابي-
الصادق الجزيري- صالح بن يوسف- الهادي نويرة- محمد السويسي-
البشير قوشة إلخ ...

وبفضل مجهودات الشيخ الفاضل وزميله الشيخ محمد الشاذلي
بالقاضي تم فتح باب البعثات إلى الجامعات الشرقية وفي مفتتح السنة
الدراسية 1366 هـ / 1947 م قبل انخراط أول طالب تونسي في جامعة
فؤاد الأول بالقاهرة (12).

وقد آتت هذه المجهودات أكلها فوفرت لدولة الاستقلال حاجياتها
من الإطارات خاصة في التعليم والقضاء والإدارة كما كانت دعامة
أساسية للتعريب.

وبالتوازي مع ذلك كان للشيخ الفاضل نشاط جمعياتي فقد أسس
اللجنة القومية للتعليم وتولى رئاستها وبرزت بحمة في الزيتونة كمذافع عن
حقوق الزيتونيين فترأس اتحاد الجمعيات الزيتونية كما قاد مظاهرة
عمومية في فيفري 1945 جمعت أكثر من عشرة آلاف طالب زيتوني
ووصلت على ساحة الإقامة العامة (13).

وهذا الرصيد النضالي أهله للتلاحم مع فرحات حشاد حيث كان
كلاهما ينوه بالآخر ويستشهد بأفكاره وآرائه (14) وهو ما يفسر رئاسة
الشيخ الفاضل للمؤتمر التأسيس لاتحاد الشغل الذي انعقد بالخلدونية في
20 جانفي 1946 ثم اختيار الشيخ الفاضل رئيسا شرفيا للاتحاد مدى
الحياة بعد أن اعتذر عن قبول خطة الكتابة العامة.

وأصبح الاتحاد العام التونسي للشغل في روحه وتأسيسه ومبادئه العليا وأغلبية عناصر قيادته زيتونيا حسب تعبير الشيخ الفاضل في كتابه الحركة الأدبية والفكرية في تونس.

وفي المجال السياسي أبدى الشيخ الفاضل ميله للمنصف باي مكبرا فيه مناصرته للقضية الوطنية كما كان شديد الإعجاب بالزعيم عبد العزيز الثعالبي لإيمانه بالجامعة الإسلامية ونظريته التنويرية للإسلام ومناهضته للاستعمار.

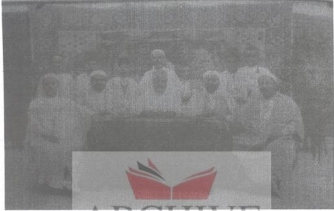
وقد كان الشيخ الفاضل من المشاركين في مؤتمر ليلة القدر - أوت 1946 - وقد اعتقل صحبة عدد من زعماء الحركة الوطنية من الحزبين القديم والجديد (صالح فرحات - صالح بن يوسف - فتحي زهير - المنحي سليم...) 

كما انضم الشيخ الفاضل صحبة زميله محمد الشاذلي بالقاضي إلى الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد.

ومن أبرز محطاته النضالية إعدادة لعيد العروبة في مارس 1947 وخطابه في آلاف من الحاضرين وبحضور عدد من الزعماء : "أيها العربي ارجع إلى نفسك تجد دواعي وحدتك في سويداء قلبك..".

كما برز في العديد من التحركات الميدانية لنصرة القضية الفلسطينية حيث شارك في الإعداد والخطابة للتجمع الذي انعقد بجامع صاحب الطابع في 4 ديسمبر 1947 ثم ترأس في اليوم الموالي تجمعاً مماثلاً في جامع الزيتونة.

وإثر الاجتماعين تصاعدت التبرعات لفائدة فلسطين كما هبّ
الملتات من التونسيين لعدائها بدمائهم (15).



في مجال القضاء والإفتاء:

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تولى الشيخ الفاضل خطة الإفتاء المالكي بالمحكمة الشرعية بتونس في نوفمبر
1953. وفي أبريل 1956 انتخب لقضاء وهو آخر من تولى هذه الخطة
الشرعية بالديوان قبل توحيد القضاء. وفي سبتمبر 1956 سمي الشيخ محمد
الفاضل ابن عاشور القاضي المالكي بالمحكمة الشرعية العليا رئيس دائرة
بمحكمة التعقيب.

وفي أبريل 1962 سمي الشيخ الفاضل مفتيا للجمهورية التونسية إلى وفاته
وهكذا تولى الشيخ الفاضل الإفتاء مرتين والقضاء مرتين (16) وقد تمكن
بفضل كفاءته العالية من النجاح في هذه المسؤوليات الجسام حيث تولاه في
زمن مفصلي كانت فيه تونس في مفترق طرق نتيجة حداثة عهدها

بالاستقلال وكان الشيخ الفاضل متميزاً بجمعه بين التراث والحداثة فهو ملمّ بالقديم ومستوعب للجديد خاصّة بعد إلغاء المحاكم الشرعية وحلّ الأحباس وصدور مجلة الأحوال الشخصية يدلّ على ذلك ما أصدره من قرارات تعقيبية من سنة 1956 إلى 1961 وكذلك ما أصدره من فتاوى من سنة 1961 إلى وفاته.

في مجمع اللغة العربية :

كان الشيخ الفاضل عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد قدّم للمجمع مجموعة من البحوث والدراسات نذكر منها :

تحرير أفعال التفضيل من ربة قياس نحوه فاسد - السند التونسي في علم من اللغة



- المصطلح الفقهي في المذهب المالكي الخ...
وتتميز آراؤه في الميدان اللغوي بالعمق والجدّة أما في المجال الفقهي فتتسم أبحاثه بإفحام المتحجّين على الفقه ممن يجهلون أن الفقه الإسلامي عامة والمالكي خاصة هو أحد مصادر القانون المدني الفرنسي وأن المصطلحات الفقهية الأوروبية تمتد بجذورها إلى الفقه الإسلامي وخاصة المذهب المالكي (17).

وبوفاته طويت صفحة ناصعة من صفحات الفكر الإسلامي المستنير إذ هبّت تونس على المستويين الرسمي والشعبي لتوديع ابنها الفدّ العلامة البحر في موكب خاشع انتظم بمقبرة الزلاج بتونس تقدمه والده شيخ الإسلام وكبير العلماء الأستاذ الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وبحضور رجال الدولة والقضاء والسلك الدبلوماسي وأساتذة الجامعة ورجال العلم والثقافة

وجموع غفيرة من المواطنين كما هبّ معها العالم الإسلامي مشرقا ومغربا مشاركا تونس لوعتها ومعبرا عن مكانة الفاضل في المحافل العلمية وفي الفضاء العربي الإسلامي.

وأقيمت له في تونس أربعينية رسمية القيت فيها قصائد وخطب وأفردت مجلة جوهر الإسلام عددا خاصا لتغطية الذكرى وفي القاهرة أقام الجمع العلمي اللغوي مهرجانا تأبينيا كما نعته الصحف والمجلات الوطنية والعربية وكتبت عنه عديد المقالات ... وبعد أن جفت الأدمع اقيمت الدراسات والأبحاث حوله فقد أقامت وزارة الشؤون الدينية بتونس ندوة بعنوان "الشيخ الفاضل ابن عاشور ومسيرة التحرير والتنوير" نوفمبر 1991.

وتقدّم العديد من الطلبة بأطروحات حوله ومن أهمها :

محمد الفاضل ابن عاشور وجهوده في بناء النهضة العلمية الإسلامية : رسالة

دكتوراه دولة إعداد حسن المناعي جامعة الزيتونة تونس 1991

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

الدين والسياسة في تجربة محمد الفاضل ابن عاشور شهادة ماجستير إعداد

مبروكة القاسمي جامعة منوبة تونس 2005

وفي سنة 2009 امر سيادة الرئيس زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية التونسية بإقامة الذكرى المئوية لميلاد العلامة البحر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور فأقامت وزارة الثقافة والمحافظة على التراث بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية ندوة استمرت ثلاثة أيام دعي للمشاركة فيها عدد من المفكرين من تونس وليبيا والجزائر والمغرب ومصر... كما اقامت وحدة الفقه بجامعة الزيتونة ندوة للغرض نفسه استمرت يومين ودعي لها عدد من الشخصيات الفكرية ومن رجال القضاء من تونس وخارجها.

ويبقى الشيخ الفاضل منارة لا تنطفئ فإن مات فقد أبقاها حيا علمه الذي بثه في صدور الرجال.

الهوامش :

- 1- الأخضر (التابعي) : القطار الذي سافر جريدة "العمل" الملحق الأدبي 23 أبريل 1987.
- 2- المهدي (محمد الصالح) : الشيخ معاوية التميمي مجلة المباحث تونس أبريل 1944 .
- 3- بلخوجة (محمد الحبيب) : مجلة جوهر الإسلام : عدد خاص بالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تونس 1978.
- 4- ابن عاشور (محمد الفاضل) : أدهاؤنا بأقلامهم مجلة الندوة تونس نوفمبر 1956.
- 5- ابن محمود (هشام) : المحلة الصادقية عدد 23 جوان 2001.
- 6- مجلة جوهر الإسلام عدد 8 منه (5) تونس 1973.
- 7- تراجم المؤلفين التونسيين ط (1) جزء (3) ص 312 عار الغرب الإسلامي - بيروت 1984 .
- 8- مذكور (ابراهيم) : مجلة جوهر الإسلام ع- 7+8 دد تونس 1971.
- 9- الفاسي (علال) : مجلة جوهر الإسلام ع- 9 دد تونس 1970.
- 10- في حفل تنصيبه عميدا للكلية الزيتونية للدراسة وأصول الفقه بتونس (أفريل 1961).
- من كتاب جماعي : الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ومسيرة التحريم والتبوير منشورات وزارة الشؤون الدينية تونس ط (2) . 2009
- 11- الفاسي (علال) : مرجع سابق
- 12- بلقاضي (محمد الشاذلي) : مجلة جوهر الإسلام ع- 7+8 دد تونس 1971
- 13- أهيلة (محمد الحبيب) : الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ومكانته في الإتحاد العام التونسي للشغل من خلال الوثائق الفرنسية ضمن كتاب جماعي : "الزيتونة : الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي" منشورات المعهد الأعلى للحركة الوطنية تونس 2002
- 14- قاسم (محمد) : جهاد الفاضل العمالي جوهر الإسلام تونس ع- 9 دد ماي 1970
- 15- الصغير (عميرة علية) : محمد الفاضل ابن عاشور والقضية الفلسطينية مجلة الحياة الثقافية ع- 208 دد تونس ديسمبر 2009
- 16- شمام (عمود) : القاضي الفاضل العلامة محمد الفاضل ابن عاشور مجلة الهداية ع- 6 دد تونس 1995
- 17- الدسوقي (محمد) : عالم عرفته : مجلة جوهر الإسلام ع- 8 دد تونس ماي 1973

جدلية المثقف والسلطان

(2)

بقلم: بسام الشارني

4- التوحيدي: المثقف - المثقف:

نستعمل عبارة المثقف في هذا السياق بالمعنى اللغوي الأول لكلمة ثقافة والذي يُشير إلى دلالة التصويب والتقويم فضلاً عن دلالاته الاصطلاحية الحديثة المتداولة. وإنّ التوحيدي قد ظهر في "الإمتاع والمؤانسة" بمظهرين، وتراءى بصورتين: مظهر المستكتب المنترّم بتوجيهات السلطان في الكتابة وشروط الصياغة الأدبية يتقيّد بها صارماً، ويحذّي سننها احتذاءً. ومظهر المتحمّس ناقلاً الأخبار ينقل إلى السامع أخباراً من يعنيه أمرهم من العامة الذّاصة والخاصة وخاصة الخاصة، وينمي إلى علمه ما خفي عنه واستتر بسنائر التقيّة والتحوّط والحذر. فهل كانت تلك هي الحقيقة الوحيدة للدور الذي لعبه هذا الأديب الفذّ والعقل الجبار والقلم المبدع في بلاط الوزير ابن سعدان حاميه وصاحب الفضل عليه؟

إنّ المسألة على جانب من التعقيد والمواربة والمراوغة والمخاتلة. إنّها لا تُفهم - في رأينا - إلاّ في إطار النظر إلى هذا الأثر الأدبي والفكري نظراً مزدوجاً لا جانبياً، ديناميكياً لا سكونياً، من خلال جدلية الظاهر والباطن معاً. ولنقل أنّ النظر في هذا الأدب ينبغي أن يتمّ في ضوء فحص دقيق، واستكناه عميق، ينفذ من سطح اللغة إلى عمقها، ويسائل الخطاب الأدبي عن مقاصده الخفية ومرامييه البعيدة وقد قدّ من لغة ليست كاللغة، وحُبك في

نسج بديع في مظهره، بليغ في مخبره، يشي ملفوظه بالانقياد والمسيرة، ولكن مدلوله يُنبئ عن تمرد ومناورة: تمرد الأديب على القُود المُلزِمة، ومناورة الفكر الحرّ وهو يراوغ سلطان السلطة، والقلم التابع وهو يُخاتل سيف السائس.

وهل يمكن فهم حقيقة هذا الأدب ما لم نُدرجه في جنسه العامّ، وما لم نضعه في إطاره الفكريّ وما به ينخرط الأثر في ما سُمّي بأدب نصائح الملوك أو مرايا الأمراء **Les miroirs des princes** وهو أدب يتوسّل فيه الأديب بالكتابة لكشف واقع العصر المتردّي وتبصير صاحب السلطان الذي إمّا أن يكون في غفلة عنه، وإمّا أن يكون منجاهاً له. فيقصد إلى إثارتة ودفعه إلى اتخاذ الموقف الإيجابي وذلك بتوجيهه ونصحه في أسلوب تلميحّي يُحمّل محمل التقيّة حفاظاً على الحياة وإيقاراً للسلامة والنجاة.

وقد كثرت الأخبار بنقلها التوحيدي في الإمتاع يرفع بها حال الرعيّة التي أُنكها العوز والتهتك والفقر والحاجة والظلم. ومن ذلك ما جاء في الليلة السابعة عشرة من غير الرعيّة حين اجتمعت بباب الطّاق على الشّطّ "فلما نزل الوزير ليركب المركب صاحوا وضجّوا وذكروا غلاء القوت، وعوز الطّعام، وتعدّر الكسب، وغلبة الفقر، وتَهتَك صاحب العيال" (32) على أنه يُورد هذا الخبر منسوباً إلى طرف عامّ متعدّد ومجهول إمعاناً في التقيّة وتنصلاً من خطورة المسؤولية فيقول: سمعت بباب الطّاق قومًا يقولون ...

وفي الليلة الرابعة والثلاثين يخوض التوحيدي في مسألة سياسية محض تتصل بعلاقة الراعي بالرعيّة، فينتصر للرعيّة وقد ثار ابن سعدان وملكه الغيظ والضّيق بأمرها وخوضها في حديثه وشؤون سياسته ومكنوم شأنه

وحتى همَّ بالعقاب الحازم والردع الصَّارم "وإني لأهمُّ في الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيدٍ وأرجلٍ وتنكيل شديد" (33) وجاء انتصاره للرَّعية مغفلاً بالثَّقة مرَّةً أخرى، وذلك حين أوردَ جوابين أحدهما على لسان أبي سليمان المنطقي، وثانيهما على لسان شيخ صوفيٍّ غير معلَّن الهوية. بيد أنَّ المشترك بين الجوابين نُصح للرَّاعي بوجوب احتواء رعيَّته واشتمالها بالعطف والخلِّم والصَّبْر والرَّفَق والتَّغاضي والتَّجاوز والتَّسامح استناداً إلى مثل أعلى إسلاميٍّ قوامه أنَّ الرَّعية وديعة الله عند سلطانها. ثمَّ إنَّ اللَّافَت في ردِّ التَّوحيديِّ انتقاضه على شروط الكتابة المُلزمة وذلك أنَّه لم يعمد إلى الحسن فزاد في حسنِّه، ولا إلى القبيح فأنقص من قُبْحه، ولم يقصد إمتاع الوزير بجمعة نظمه ونثره وإن كان في الردِّ إفادة له من أوَّلِهِ إلى آخره، فقد كانت "الجملة خشناء، وفيها بعض الغلظة" (34) ولم يعترض الوزير على ذلك بل طلبه واحتمل مرارته قال: "أما أبو سليمان فلاه قال في هذه الأيام: ليس ينبغي لمن كان الله عزَّ وجلَّ جعله سائس النَّاس عامتهم وخاصتهم وعالمهم وجاهلهم (...) أن يضجرَّ ممَّا يبلغه عنهم أو عن واحد منهم لأسباب كثيرة منها: أنَّ عقله فوق عقولهم، وحلمه أفضل من حلومهم، وصبره أتمَّ من صبرهم. ومنها أنهم جُعِلُوا تحت قدرته، ونَبِطُوا بتدبيره، واختَبِرُوا بتصرفهم على أمره ونهيهِ، ليقوم بحقَّ الله تعالى فيهم، ويصبر على جهل جاهلهم، ويكون عماد حاله معهم الرَّفَق بهم والقيام بمصالحهم، ومنها أنَّ العلاقة التي بين السُّلطان وبين الرَّعية قويَّة لأنَّها إلهيَّة، وهي أَوْشَج من الرَّحم التي تكون بين الوالد والولد، والملك والد كبير كما أنَّ الوالد ملك صغير، وما يجب على الوالد في سياسة ولده من الرَّفَق به، والحنوَّ عليه، والرَّقة له، واجتلاب

المنفعة إليه، أكثر مما يجب على الوالد في طاعة والده، وذلك أن الولد غير قريب العهد بالكون، وجاهل بالخال، وعارٍ من التجربة، كذلك الرعية الشبيهة بالولد وكذلك الملك الشبيه بالوالد...) وبسبب هذه العلاقة المحكمة والوصلة الوثيقة ما لاحت العامة بتعرف حال سائسها، والتأظر في أمرها والمالك لزمها حتى تكون على بيان من رفاة عيشها، وطيب حياتها، ودُرور مواردها بالأمن الفاشي بينها، والعدل الفاض عليها، والخير المحلوب إليها، وهذا أمر جارٍ على نظام الطبيعة ومندوب إليه أيضا في أحكام الشريعة" (35).

ويستغل التوحيدي الفرصة ليُمرّر بطريقة ذكية مشاغل الطبقة الدنيا، ويعرض همومها، بل احتجاجاتها وانتقاداتها لما تعانيه من قهر وحرمان وضنك، عرضاً ليقا في أسلوب افتراضي متفهماً في ذلك بشخصية المنطقي ناسباً الكلام إليه، قال: "ولو قالت الرعية أيضا: ولم لا نبحث عن أمرنا؟ ولم لا نسمع كل غث وسمين ميتا؟ وقد ملكت نواصينا، وسكنت ديارنا، وصايرتنا على أموالنا، وحلّت بيننا وبين ضياعنا، وقاسمتنا موارثنا، وأنسيتنا رفاة العيش، وطيب الحياة، وطمانينة القلب، فطرقنا مخوفة، ومساكننا منزولة، وضياعنا مقطعة، ونعمنا مسلوبة، وحرمتنا مستباح، ونقدنا زائف، وخراجنا مضاعف، ومعاملتنا سيئة، وجندنا متغطرس، وشرطينا منحرف، ومساعدنا خربة، ورؤوفها منتهبة (...) وعيوبنا سخيئة، وصدورنا مغبظة، وبليننا متصل، وفرحنا معدوم..." (36).

ويورد التوحيدي ضمن هذا الإطار الحجاجي وعلى سبيل التمثيل قصة الخليفة المعتضد وكيف أشار عليه بعض خاصته بصلب بعض العامة وإحراق

بعضهم وتغريق بعضهم حين بلغه أنهم " يجتمعون بباب الطّاق ويجلسون في دكان شيخ تَبَان ويخوضون في الفضول والأراجيف وفنون من الأحاديث" (37)، وكيف كان ردّه على هذه المشورة ردّاً عنيفاً رادعاً نحاً فيه منحى التّأديب والتّعليم: "لقد عصيتَ الله بهذا الرّأي ودلّلتَ على قسوة القلب وقلة الرّحمة ويُسّ الطّينة ورقة الدّيانة. أما تعلم أنّ الرّعيّة وديعة الله عند سلطانها وأنّ الله يُسألُ عنها: كيف سُستّها؟" (38).

وقد سبق له أن تعرّض إلى مسألة سياسيّة هامّة تتصل بحاشية الوزير وبطانته في الليلة الرابعة والعشرين، رافعا الحديث إلى أبي سليمان المنطقي مرّة أخرى، فاضحا على لسانه فساد الحاشية وانحطاط منزلتها وتدني أخلاقها، وضيق أفقها، وقصر نظرها، وتأثيرها السّلبّي المباشر في الشّأن السّياسيّ فقال: "ومنايع الفساد ومنابث التّحطّط كلّها من الحاشية التي لا تعرف نظام الدّولة ولا استقامة المملّكة؟ وألما سؤلها تعجّلُ حظّ وإن كان نزرًا، واستلابُ درهم وإن كان زَيْفًا" (39).

إنّ انخراط التّوحيدي في الشّأن السّياسيّ بفكره وسعة معرفته يُقدّم لنا نموذجا أصيلا عن المثقّف العضوي أو الأتّلجنسي بالمصطلح الحديث، ذلك الذي ينخرط في واقعه الاجتماعيّ والسّياسيّ انخرطا فاعلاً (40)، ولا يتوان عن التّدخّل بالرّأي والمشورة لكشف مواطن الدّاء والبحث عن الحلول الممكنة وسبيل العلاج الكفيلة بإذهاب السّقم وإزالة الخلل. ومن الأمثلة الدّالة على ذلك حرصه على دفع الوزير إلى اجتلاب طائفة من الأدباء والمفكرين الذين تتوفّر فيهم صفات التّباهة ووفرة العلم والمعرفة مع رفعة الأخلاق والنّزاهة حتّى يكوّنوا له عضداً يُسانده ويُعزّز سلطته ويثبت

سياسته. قال: "يجب على كل من آتاه الله رأيًا ثاقبًا، وتُصَحَّحًا حاضرًا، وتنبهًا نافعًا، أن يُخَدِّم مُتَحَرِّيًا لِرُسُوخِ دعائم المملة بسياستك وريادتك، قاضيًا بذلك حقَّ الله عليه في تقويتك وحياتك. وإني أرى على بابك جماعة ليست بالكثيرة - ولعلها دون العشرة - يُؤثرون لقاءكَ والوصول إليك لِمَا تُجِنُّ صُدُورُهُم من التّصائح النّافعة، والبلاغات المُجديّة، والدّلالات المُفيدة (...). والحِجابُ قد حالَ بينهم وبينك، ولكلّ منهم وسيلةٌ شافعة، وخدمةٌ للخيرات جامعة، منهم - وهو أهل الوفاء - ذوو كفاية وأمانة، وتباهة ولباقة، ومنهم من يصلح للعمل الجليل، وليرتق الفتى العظيم" (41)

ولعلنا ندرك من هذه الأمثلة - وقد أوردناها على طولها لأهمية دلالتها على ما نحن بصدد - جدلية العلاقة بين المثقف والسلطان. فظاهر الخطاب لا ينبغي أن يصرفنا عن باطنه، وصريح لفظه لا يجب أن يحجب المسكوت من كنهه. وهذا أمر تدل عليه اللغة من حيث هي تُعَيِّن عليه، وتكشفه من حيث تريد ستره، وهنا محلّى اللعبة التي يجز المثقف السلطان إلى محيوطها ويحبك نسجها حوله، فيؤهم بتنفيذ رغباته وهو يواجهها، ويُخيل إليه أنه يلتزم ببرامجها والحال أنه يطوّعها لتحقيق مقاصده.

لقد استطاع التوحيديّ فعلاً أن يخترق شروط العقد الإلزامية، وبنوده الإلزامية التي فرضها ابن سعدان، بنقض منطق العلاقة، وقلب طرفي المعادلة. فتحولنا معهما من وزير يُسَخَّرُ أديبَ بلاطه - أو هو يتوهم ذلك - لثمنه إلى علمه خفايا العامة وخبايا الخاصة، إلى أديب يُسَخَّرُ موقعه من البلاط وقلمه ويوجههما الوجهة المعاكسة، فيكشف ما يُفَرِّق السلطان منه في العادة أو يعمل على تجاهله، وينقل من الأخبار ما لا يرتضيها البلاط، ويبلغ

صوت الشارع بكلّ أمانة، ويُعرّي بطانة السلطان بكلّ جرأة، فيحمله على مراجعة كثير من قراراته إذا حادت عن غاياتها الجلييلة، وعلى تعديل مسالك سياسته أو تنقيفها متى انحرفت عن مقاصدها النبيلة، ولعلّ أبرز دليل على ذلك ما جاء على الوزير ابن سعدان ردّاً على غير شكوى العامة بباب الطّاق غلاء المعيشة وتعليقاً على ما نُقِلَ من جوابه الفظّ لهم "بعدُ لم تاكلوا التّخالة" قال: "والله ما قلتُ هذا، ولا خطّرتُ لي على بال، ولم أقابلُ عامّة جاهلة ضعيفة، يمثل هذه الكلمة الخشناء (...). والله لأنظرون لها وللفقراء بمال أطلقه من الخزانة وأرُسّم ببيع الخبز ثمانية بدرهم ويصل ذلك إلى الفقراء في كلّ محلّة على ما يذكر شيخها (...). ففعل ذلك - أحسن الله جزاءه - على ما عرفتُ وشاهدتُ وأبلغته بنشر الدّعاء له في الجوامع والجامع بطول البقاء ودوام العلاء، وكنتُ الأعزاء ونصر الأولياء" (42).

وهكذا يتّصّر مشروع المثقف على السّائس، وينجح العقل في عقل السّيف، ويُفلح الفكر في تقييد القوّة وتقنين مسالكها، والحدّ من بطشها، والتّحوّل بالقرار السّياسي من الضّدّ إلى الضّدّ، ومن الشرّ العظيم إلى الخير العميم. وهي الصورة الجديدة التي اكتسبتها الكتابة في علاقتها بالسلطة وذلك هو الدّور الخطير الذي أصبح الأديب المثقف مضطّلعاً به داخل البلاط متجاوزاً دور الشّاعر المذّاح والكاظم الدّيوانيّ المأجور والمرسّل المتفنّن، والأديب الطّريف الذي يُمتع السّلطان ويُسلّيه. فقد أصبح منحرفاً في هموم البلاط انطلاقاً من هموم الشارع مُقدّماً في كلّ مرّة رؤية سياسية عقلانيّة تومئ إلى التّلازم الوثيق بين الدّين والدّنيا وتدعو إليه، إذ على السّائس أن "يُجري الأمور بسنن الدّين ما استحابت، فإن عصت أخذ

بأحكام السياسة التي هي الدنيا، ولما كانت الأمور متلبسةً بالدين والدنيا لم يجز للعاقل الحصيف، والمُدبر اللطيف أن يُعْمِل التدبيرَ فيها من ناحية الدين فحسب، ولا من ناحية الدنيا فقط، لأن دائرة الدين إلهية، ودائرة الدنيا حِسِّيَّة (...) وهذا كله منوطٌ بالتوفيق والتأييد اللذين إذا نَزَلَا من السماء واتَّصَلَا بِمَفْرَقِ السَّائِسِ تَضَامَّتْ أحواله على الصَّلاح، وانتشرت على التَّجَاح، وكُفِيَ كثيرًا من هُمومه " (43). كما أنَّ "الدين والمُلْك أخوان، فالدين أُسٌّ، والمُلْك حارس، فما لا أُسَّ له فهو مهدوم، وما لا حارس له فهو ضائع" (44)، وعلى هذا فإنَّ "التاظر في أحوال التَّاس ينبغي أن يكون قائما بأحكام الشريعة، حاملا للصَّغير والكبير على طرائقها المعروفة، لأنَّ الشريعة سياسة الله في الخلق، والمُلْك سياسة الناس للناس، على أنَّ الشريعة متى غَلَت من السياسة انت ناقصة، والسياسة متى غَوِيَتْ من الشريعة كانت ناقصة" (45).

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

5- التوحيدى أدبىا مُبدعاً:

5-1- تعانق العقل والفن :

إنَّ خروج أبي حيان على شروط الكتابة المفروضة كان له وجه آخر يتجاوز طبيعة المحتوى المعرفى والرؤية الفكرية التي يُقدِّمها إلى السَّائِس، إلى نوعية الخطاب المكتوب وقد مرَّ من المشافهة إلى التدوين ومن ثقافة الأذن إلى ثقافة البصر منتهكا شرطاً أساسياً وجوهرياً من شروط العقد المُبرَم بين الأديب والوزير، وهو شرط المطابقة التامة والوفاء الكُلِّي للمنطوق وهو انتهاك أَمْلُئْهُ سلطة المكتوب التي تفرض ذاتها على الأديب، فبنشأ الصَّراع الهائل بين ذات التوحيدى كاتباً وذاته مُبدعاً، وسرعان ما ينتصر المبدع على

الكاتب حين ينقض كلّ برجة خارجية مفروضة. يقول معلنا في الظاهر شرط المطابقة في كلّ جزء: "فإني أهدي ذلك كلّهُ بغثاته وسماته وحلاوته ومرارته ورقته وخثارته في هذا المكان" (46). استجابة ظاهرية لشرط متقدّم أعلنه أبو الوفاء المهندس بقوله: "وائق الحذف المٌخِلُّ بالمعنى، والإلحاق المُتصل بالهذر" (47). ولكنّ ذلك لا يحصل أبداً إذ يتجاوز المكتوب المنطوق ويتحرّر المبدع من الكاتب بوسيلتين: بالاختزال والتشذيب طورا "فقال كلاما كثيرا عند كلّ ما مرّ مما يكون صلة لذلك الحديث خزلته للتخفيف" (48). وبالإضافة والتوسّع طورا آخر "ولكن رأيتُ من تمام الرسالة أن أضمّ هذا كلّهُ" (49).

كما أنّ اهتمام التوحيدِيّ بِجَماليّة المقروء وأدبيّة النصّ المكتوب تُشكّل تأسيسا لكتابة جديدة تاهضت الطريقة السائدة الممعة في ركوب الزخرف البلاغيّ المتكلف. وتتحلّى في ما اتّسم به أسلوبه من توازن واعتدال بين اللفظ والمعنى مما يبدو لنا مظهرها حاسما من مظاهر تطويع الكتابة الأدبيّة لصرامة العقل وهو في ذلك يقتفي خطى أستاذه الجاحظ فلا إسراف ولا تصنع ولا مبالغة ولا إحلال باللفظ دون المعنى ينشأ عنه الابتذال، أو إحلال بالمعنى دون اللفظ ينشأ عنه الإسفاف "لا تعشق اللفظ دون المعنى ولا تهو المعنى دون اللفظ. وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء في جانب فإنّ صناعتهم يُفتقر فيها أشياء يُؤاخذ بها غيرهم، ولست منهم، فلا تشبه بهم ولا تُجرّ على مثاهم ولا تنسج على مناهم، ولا تدخل في غمارهم..." (50). ولكّنه لا يجد مفرّاً من تنميق وتفنّن قد يبلغ أحيانا درجة التكلف بما هو من لوازم الصنعة الأدبيّة الضامنة لخلود الأثر بعد صاحبه: "ولمّا كان

قصدي فيما أعرضه عليك وألقيه إليك أن يبقى الحديث بعدي وبعذك لم أجد بُدًّا من تنميق يزدان به الحديث، وإصلاح يحسُنُ معه المغزى، وتكُلَّفُ يبلغ بالمراد الغاية" (51) ولا شك في أن هذه الغاية المقصودة هي غاية التوحيدي أديباً مُبدعاً لا غاية كاتباً ناقلاً، هي غاية المبدع وإن صرَّح بها صاحب السُّلطة: "فلعلَّ هذه الثقافة تُبْقَى وتُرَوَّى ويكون في ذلك حُسْنُ الذِّكْرَى" (52).

أسس التوحيدي إذن بأدبه سلطة توازي سلطة السائس إن لم تُفَقِّها، وتواجهها وتتمرد على أوامرها ونواهيها وتوجيهاتها وإلزاماتها. هي سلطة النصّ يُنشئ نظامه اللغوي الخاصّ بمعزل عن شروط الإملاء التي فرضتها مؤسسة السُّلطة، ويُنشئ عالمه الخاصّ ويُحقّق أهداف صاحبه فيما هو يُوهم بتحقيق أهداف السُّلطان.

إنّ اللغة لغوبٌ، حمالة أوجه. فما بالك بلغتها صاحبها التوحيدي ؟ هي لغة الفنّ والإيجاء، والتورية، واللعب على الدوالّ ومدلولاتها، والتلاعب بحلى بلاغتها وأفانين صياغتها لتخلب وتسحر وتأسر الآسر وتحرّر المأسور، وتقلب السحر على الساحر.. ثم هي فوق ذلك لغة العقل وخطاب الفكر، ونتاج الذهن المُدبّر، تنهل من الحجاج والجدل وترفل في تلاوين البلاغة، وتستقي من ينبوع ذي مجريّين: ينبوع الفنّ فُتْمَع، وينبوع العقل فتقنع. وتُزَاج بين الإمتاع والمؤانسة، بين جماليّة البلاغة حيث الأسلوب الأدبيّ الرّاقي الذي يتلوّن بأصباغ البيان، ويخطّر في حُلّ الإزدواج، وجماليّة العقل التي تشدّك إلى المعاني الدّفاق يتولّد بعضها من بعض، وتقف بك على أسلوب في الكتابة متين شبيه بأساليب المناطق في حرصهم على التناسب

الدقيق بين الأفكار وقد أُخْضِعت إلى أبنية لغوية صارمة الدلالة وقوابل تركيبيّة متقايسة تعكس الصرامة العقلية التي أخذوا أنفسهم بها عند التفكير في ما يعرضون له بالبحث، من قبيل التراكيب الشرطية، وأساليب الاستقصاء الرياضيّ ممّا لا يخلو من أثر التفكير والتأمّل الفلسفيّ العميق. فيتحرّر المثقف من إكراهات السلطان، ويتلق السلطان إلى أسر اللغة فتفتنه عن براجمه المسبقة، وتخلبه، وتأخذه بعيدا عن غاياته المبيّنة، وتجعله مرهنا بمقاصد صاحب الخطاب، ملتزما بنتائجه، بعد أن كان مُلزما بشروطه ودوافعه.

2-5- التناصّ وانفتاح الأثر :

لعلنا نحتاج في هذا الموضوع من البحث أن نعود إلى الدلالة الأولى للفظ "أدب" كما حددها الاستعمال القديم لتحديد مختلف اختلافات كليّا عن المفهوم الحديث المعنى الذي تحتله العبارة الحديثة Litterature . وهذه الدلالة القديمة التي تبلورت منذ بداية حركة التأليف أي منذ تمّ الانتقال من نشاط المشافهة والسّماع والرّواية إلى نشاط الكتابة والتدوين والنسخ في القرنين الثاني والثالث الهجريّين، ارتبطت بدلالة مصطلح الثقافة الحديث المنفتح على حقول عديدة ومتشعبة من المعرفة في مختلف شعابها وميادينها بما في ذلك العلوم في بعدها الدنيّ خاصة من فقه وحديث وتفسير... (53) وهو المعنى الذي تحتله عبارة ابن خلدون الشهيرة "الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كلّ علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعيّة من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث" (54). وهذا التعريف المأثور لكلمة "أدب" هو الذي يظهر جليّا في صورته العملية طي .

الكتاب بأجزائه الثلاثة، وفي مظانّ لياليه. فالكتاب ما قال القفطي "كتاب ممنوع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم. فإنه خاض كلّ بحر، وغاص كلّ لجّة" (55) وهو ما يمنح الأثر ميزة الانفتاح وسمة التنوّع والموسوعيّة والبعد الإنسانيّ Humanisme الذي يجلوه وليدّ عصره لا محالة، ولكنه - فوق ذلك - صالح لكلّ زمان ومكان لأنّ هاجسه الإنسان. ففي الأثر مرجعيّات مختلفة تصل الكتابة الأدبيّة بأفانين متنوّعة من المعارف والعلوم والفنون والمباحث سوى الأدب الخالص فموضوعات الكتاب "متنوّعة تنوّعاً طريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب إنّما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث. حتّى لنجد في الكتاب مسائل من كلّ علم وفنّ، فأدب وفلسفة وحيوان وبحر وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيّات لفلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس وغير ذلك ممّا يطول شرحه" (56).

ويظهر التناص بمظهرين بارزين: يتمثّل أوّلهما في ما يمكن وسّمه بتناص المحتوى ونعني به ما كنّا أشرنا إليه آنفاً من محتويات معرفيّة مختلفة شعابها ومتنوّعة مشارها تتقاطع في متن الأثر بشكل عفويّ انسيائيّ محكوم بلحظة المشافهة المرتجلة إبّان المسامرة ، ممّا هو من آثار عفوّ البديهة وانثيال الخواطر وقد ساعد على هذا الأمر تقسيم الأثر إلى ليالٍ متباعدة في مواضيعها وقضاياها.

ويتمثّل المظهر الثاني في ما يمكن وسّمه بالتناص الشكليّ ونعني به مختلف أشكال التضمين والاقتراس والاستشهاد والاقتطاف والإحالة التي تستدعي

إلى فضاء النصّ مقتطفات من نصوص غائبة مختلفة المضامين تُستَحْضَرُ بلفظها ومحتواها مشكّلة فسيفساء مركّبة من النصوص المتباينة التي اقتطعت من سياقاتها الأصليّة وزُرعت في سياق النصّ اللّيلة الجديد دون نشاز دلاليّ إذ هي مُحتَلَبَةٌ إلى فضائه لغايات مختلفة لا تخرج عن دعم فكرة يُراد تثبيتها، أو إبطال ما يُراد دحضه، أو توسّع في موضوع، أو استعراض لرصيد زاهر من المعارف والمعلومات... وإن هي أوْهَمَت ظاهريّاً بفوضى البناء اللّغوي (57).

ويبدو لنا أنّ افتتاح الأثر على مرجعيّات متنوعة، ومدوّنات مختلفة المشارب، كان له أثر حاسم في تحقيق الوظيفة التثقيفيّة في معنيها المعجمي والاصطلاحي، وفي تحقيق الوظيفة الوثائقيّة بالنسبة إلى المؤلّف من خلال تذويب صوته في عشرات الأصوات المودعة في فضاء النصّ، وتحوّله إلى صدى لها، ورجعاً لمضامينها، مع الإجماع بالقبول من ملكيتها ظاهريّاً. وهذا أمرٌ يتّضح في مظهر آخر من الكتابة هو الإسناد المخاتّل أي ما يُصرّح المؤلّف بنسبته إلى سواه تصريحاً قد يكون على سبيل التلميح والتضليل.

5-3- الإسناد المُخاتّل :

كثيراً ما نحا التوحيد، وهو يخوض في مواضيع الليالي، إلى نسبة أكثر الأخبار إلى أسانيد معلومة أو مجهولة، وأشدّها تواتراً أبو سليمان المنطقي أستاذ، وهو ما قد يُحمّل على محمل التقيّة وهذا أمر مفهوم، ولا غرابة في عصر شهد من الغليان والتوتّر السياسي والصراع الفكري والمذهبي ما لم يشهده عصرٌ. حتّى غدت صفة الزندقة تهمّة يُرمى بها كلّ مفكّر لم يرض أولاً الأمر على فكره فحاربوه من جهة عقيدته.

ولكن، أليس الخطاب، في حقيقته، خطاب التوحيدِي وإن سعى إلى التبرُّؤ منه بنسبته إلى آخرين ؟ ذلك لعمرى ما حمس به لغته. ثمَّ إننا وإن سلَّمنا جدلاً بأنَّ الخطاب عِطاب الآخر الذي غالباً ما يكون أبا سليمان المنطقي، فلا يمكن أنْ نتصوَّر أنْ التوحيدِي قد نقله نقلاً حرفياً تاماً حرص فيه على مراعاة شرط الأمانة القصوى والمطابقة الكلِّية بين الدوالِّ والمدلولات، تقيداً منه ببنود العقد المتفق عليه مسبقاً. ودون أن يكون قد تصرَّف في صياغة المنطوق عند كتابته تصرُّفاً خاصاً وأعاد التعبير عنه بلغته هو فكانت للمكتوب صورة لا نعتقد أنها كانت للمنطوق، وكان له أثرٌ لا نظَّته كان للمشافهة.

على سبيل الخاتمة :

ولئن ظهر التوحيدِي في نظر البعض مثالا للمثقف ضعيف الشخصية، سلب الإرادة، يَمَلِكُ السلطان ويتمسَّح باعتاب بلاطه، ويرتضي بيع قلمه وأدبه، تحت إكراهات الفقر والحاجة وانقلاب القيم في عصره وتراجع قيمة الفكر والأدب أمام سلطان المال، فإنَّه في حقيقته قد أبقَى جانباً هاماً من شخصيته الأدبية وكيانه الفكريِّ محفوظاً شامخاً، حرّاً، وإنَّ التقيَّة وحدها هي التي حجبت عن البعض حقيقة الدور الذي لعبه وحقيقة الموقف الفكري الذي واجه به المبدع المثقف صاحب السلطان والجاه في عصره. إنَّ التوحيدِي مثال المثقف الذي أرادت السلطة تسخيره لحاجاتها فحوَّلها إلى صالحه: كان مُثَقِّفاً ومُعلِّماً، فسَمَّا عنها بغيِّ الفكر وسلطة المعرفة، وكان مُوجِّهاً ومُسيِّراً من حيث توفَّقت تسييره، فقادها بالرأي السديد والفكر الرشيد. وسواء أكانت نسبة التوحيدِي أغلب الأفكار الجريئة والتمردية إلى أساتذته ومُفكرِي عصره، وهي في الأصل أفكاره هو، عملية مقصودة على وجه التقيَّة والإيهام دفعا للضرر الممكن، أم أنها

أفكار غيره فعلاً وما فضله إلا الإبراز والتبليغ، فإنه في الحالتين صاحب فضل كبير إذ حسبه أنه أبرز الفكرة القادرة على التأثير، ويبلغ الرأي القادر على التغيير، ولا أهمية بعد ذلك لأن نعرف من صاحبهما على وجه الحقيقة. إن في الإبراز والتعبير اختياراً لا يخفى، وفي الاختيار موقفاً بيناً واتجاهاً مقصوداً. أوليس اختيار المرء قطعة من عقله ؟

الهوامش

- 32- السابق: ص 26.
- 33- نفسه: ص ص 85-86.
- 34- ج 3 ص 86.
- 35- نفسه ص ص 86-87.
- 36- نفسه ص 88.
- 37- ج 2، ص ص 88-89.
- 38- نفسه 89.
- 39- نفسه ص 116.
- 40- قال التوحيدي مُحَرَّرٌ عَنْ أَقْلِهِ: قد هالكت العلماء وتخلعت الكُرا، وتصفحت أحوال الناس في أفوالهم وأعمالهم وأخلاقهم". ج 1، ص 21.
- 41- ج 3، ص 211.
- 42- ج 2، ص 26.
- 43- نفسه ص ص 116-117.
- 44- نفسه ص 33.
- 45- نفسه: ص 33.
- 46- ج 1، ص 12.
- 47- ج 3، ص 67.
- 48- ج 1، ص 12.
- 49- ج 3، ص 162.
- 50- ج 1، ص 10.
- 51- ج 3، ص 162.



ARCHIVE

53- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) المقدمة ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2، 2003 ص 642. على أنه تجدر الإشارة إلى أن لفظ الأدب قد التبس قديماً بمعان حاقّة مختلفة منها الأخلاق أو أدب النفس، ومنها أدب اللسان وهو المعنى الذي تمحّضت له دلالة المصطلح "أدب" في حدود القرن التاسع الهجري حيث تمّ الفصل على يد أحمد بن علي القلقشندي في "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" بين علوم الأدب أو اللسان وهي اللغة والبلاغة والعروض.. والعلوم العملية وهي علم السياسة وعلم الأخلاق وعلم تدبير المنزل. ثم بدأ المعنى الاصطلاحي ينحصر في ما يُسمّى بعلم الأدب كما بيّنه ابن خلدون في مقدّمته وفي الفصل الذي وضعه لعلوم اللسان العربي وعصّ به "الإحادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم". راجع لتمام الفائدة وعزّيد من التوسّع الكتاب الرابع في مشروع الجاهري "نقد العقل العربي" وعنوانه "العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لتنظيم القيم في الثقافة العربية" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط 2 - 2006.

54- العلامة (عز الدين) الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، سلسلة عالم المعرفة، المطابع الدولية - الكويت ، عدد 324، فبراير 2006، ص 63.

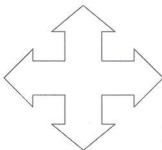
ARCHIVE

55- الإمتاع والمؤانسة المقدمة، ص (م).

56- السابق ص (س).

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

57- نذكر على جهة التنبيه ما ورد في ج 2 في التلّة السابعة عشرة التي تعبّرها من أهمّ الديالي تجسّما لفكرة الفسيفساء القصيّة لما تشعّبه من مظاهر عديدة ومكثّفة من الناص الحرفي الصريح في شكل اقتباسات وتضمينات وشواهد لغويّة، وأدبيّة من النثر والمنظوم، وفلسفيّة، ودينيّة، وعلميّة، وأخبار من المأثور.



فرع اتحاد الكتاب التونسيين بسليانة يحتفي بعلمين من أعلام الجهة.

بقلم: أ. عبد الكريم العطاوي

يسعدني كثيرا أن نرى هذا الحضور المشجع للنشاط الثقافي والأدبي من قبل هذا الجمع الكريم الذي يدل على حُكم للثقافة والأدب والبحوث العلمية التي ستجعلكم وستجعل بلادكم تونس في مستوى المجتمعات المتقدمة بدون تفاوت، فشكرا لكم، وجازاكم الله خيرا.

أيها الأخوة والأخوات أودّ بادي دى بدء في هذه الأمسية الطيبة أن أرحب وأشكر بإسمي وبإسم زملائي أعضاء فرع اتحاد الكتاب التونسيين بسليانة السادة الحاضرين الذين لبوا دعوتنا لحضور هذه الأمسية الأدبية والفكرية التي ستتضمن بعض المداخلات الأدبية كالتعريف بعلمين من أعلام بلادنا سليانة وكعرض قصائد شعرية .

إخوتي أنتم تعلمون أكثر من غيركم أن القطاع الثقافي في عهد التحول المبارك، كان ولا يزال جانبا هاما من مشاغل سيادة الرئيس زين العابدين بن علي، الذي حقق - والحق يقال - الكثير من المساعدات المعنوية والمادية لرجال الأدب والعلم بدون منّ ولا رياء. فأكرم الكثير منهم، وحقق لهم ماكانوا يتمنونونه في إيجاد المدينة الفاضلة

التي كان يتخيلها أفلاطون اليوناني في خياله، لقد تحققت عندنا في دنيا الواقع وفي تونس بالذات، وكانت تسمى بالمدينة الثقافية، فشكرا لسيادة الرئيس على هذا الإنجاز العظيم، وشكرا لكل من اقتدى به من المسؤولين الجهويين الذين ساعدوا إخواننا الأدباء في جهتنا سليانة على اقتناء وترويج إنتاجهم الأدبي المتحسم في الكتب.

لا يسعني في هذا الصدد إلا أن أشيد وأشكر أختنا المهدب القرني المندوب الثقافي بسليانة الممتاز بسلوكه وذيامة أخلاقه وحبه اللامحدود للنشاط الثقافي، وللأدباء والأديبات، وتشجيعه الكبير لهم ولهن، يذكر فيشكر، إذ يلمسه كل أعضاء اتحاد الكتاب في سليانة، فيباركه لكن مع ذلك نرجو من الإخوة المسؤولين أن يضعوا في حسابهم تشجيع إنتاج الأدباء الجهويين، وذلك بتخصيص فضاءات لعرض إنتاجهم مع عرض إنتاج أدباء تونس والعرب في مدايننا سليانة أثناء المعرض الكتاب. حتى يتعرف مواطنوا ولايتنا الحبيبة على إنتاج إخوانهم الأدباء، بموجب ذلك يحى التذمر الذي كان يشعرون به شيئا فشيئا وتعود إلى نفوسهم البهجة والحيوية التامة لمواصلة العزم على المزيد من الإنتاج. لأنهم كما تعلمون أيها الأخوة هم قطاع هام من القطاعات الاجتماعية التي كان يوليها سيادة الرئيس عناية كبرى، ويعطيها حقها من التقدير.

إخوتي وأخواتي إن فرع اتحاد كتابكم بسليانة أراد في هذه الأمسية أن يكرم علمين من أعلامنا : كالأستاذ عبد القادر الهاني، والشاعر محمد الحفناوي طاع الله ها أنذا سأقدم بمشيئة الله تعالى أستاذنا عبد

القادر الهاني المولود بقرية سيدب حمادة في 9 أكتوبر 1936، والذي زاول تعلمه الابتدائي بكتاب القرية، وبالمدرسة القرآنية الأهلية بنهج سيدي بن عروس بتونس والثانوي بجامع الزيتونة المعمور وعمل معلما بكل من خنقة الحجاج وسكرة وغيرها من المدارس الابتدائية وقتئذ وأستاذا ثانويا بالمعاهد الثانوية التالية : مكثر والفحص ولسليانة، ومديرا للمدرسة الحزبية لتكوين الإطارات بلسليانة، ومندوبا للشؤون الثقافية بلسليانة، ورئيسا لمصلحة الشؤون الثقافية والتربوية بولاية سليانة ومديرا لقرية الأطفال اس أو اس بلسليانة، مؤسسا ومديرا في نفس الوقت لمجلة الإتحاف من 1985 إلى الآن. وهو أب لثلاثة أبناء.

هذه المسؤوليات الكثيرة التي قام بها الأستاذ عبد القادر الهاني تنتمي كلها في اعتقادنا إلى الميدان التربوي، الذي ترك بصماته في نفسية أستاذنا. وجعلت منه محققا لثمة (أو ثمة) شبيهة بالحركة الإصلاحية التي أرسى دعائمها المصلح الكبير أحمد بن أبي الضياف، وبالحركة الأدبية التي استمدتها من حسن حسني عبد الوهاب ومن بعض الأدباء الآخرين الذين كان متأثرا بهم، فحاول أولا أن يؤلف كتابا يدعى: "صفحات من تاريخ سليانة الحديث" تحدث فيه عن الوضع الاجتماعي والثقافي بجهة سليانة من خلال عمل الزوايا، وعن أعلام جهة سليانة من خلال كتاب: "إتحاف أهل الزمان" وعن حضور جهة سليانة في حركة مقاومة الإستعمار الفرنسي، وعن أعلام الشعر الشعبي في جهة سليانة. لقد وفق الأستاذ عبد القادر الهاني في هذا الإنتاج الأدبي وخاصة

التعريف بالزوايا التي قدمت -والحق يقال- خدمات جليلة لوطنتنا التونسي، متمثلة في مقاومة الإستعمار الفرنسي، وذلك بتعليم أبنائنا القرآن الكريم الذي يعدّ ركنا أساسيا في المحافظة على اللغة العربية من الذوبان، والتي تعتبر هذه اللغة هوية أساسية أصيلة للشعب التونسي، فتشده شد قويا، وتجعله بالتالي متمسكا بمعتقداته وخصائصه الثقافية التي طالب فيها الشاعر القومي محمد حافظ إبراهيم العربي الكتاب العرب، ورجال الأدب، ليهبوا أجمعين لصيانة لغتهم وحمايتهم من الذوبان فقال معبرا عن نداء اللغة العربية.

رموني بعقم في الشباب وليثني

عقمت فلم أجزع لقول عداي

ARCHIVE

ولدت وكأنا أجيد لعرائسي

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

رجالا وأكفاء وأدت بناي

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن أي به وغطائي

فكيف أضيف اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعاتي

أنا البحر في أحشائه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدفاي

أيطريكم من جانب الغرب تاعب

ينادي يؤادي في ربيع حياتي

أيهجري قومي عفا الله عنهم

إلى لغة لم تتصل برواة

وسانده في ذلك الدقاع شاعر آخر لا يقل عنه أهمية وإخلاصاً، ألا

وهو أحمد حسن الزيات، الذي قال معبراً عن هذا الإنجاء

فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزاً وامتعة وكم عز أقوام يعز لغات

أتوا اهلهم بالمعجزات تفننا فيا ليتكم تأتون بالكلمات

كما كان الأستاذ عبد القادر الهاني متأثراً بكتاب ابن أبي الضياف:

اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: الذي جاء في

بعض فصوله بالهدف الإصلاحي المنشود المتمثل في:

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

1- أن الشورى أساس العدل

2- وأن العدل أساس العمران.

3- وأن العمران قاعدة الحكم.

هذا التأثير الذي بدا على الأستاذ عبد القادر الهاني قد طبع نفسه

السامية بطابع مواصلة العمل الإصلاحي الكبير الذي انتهى إليه ابن أبي

الضياف في مجلة زكية، اختار لها من الأسماء "الإتحاف" وجلب لها نخبة

ممتازة من الأدباء الذين حققوا ما كان يتمناه مؤسسها من النهوض بهذا

العمل الإصلاحي، وبالحركة الأدبية في هذه الربوع، فشرعت هذه

الأقلام المحلية والجهوية والوطنية والعربية بمختلف شرائحها الأدبية،

بصفة تلقائية معبرة عن بنات أفكارها بالنثر والشعر والقصة والرواية

والبحوث العلمية التي كانت متجسمة عند أدبائنا المصلحين أمثال ابن خلدون وخير الدين باشا التونسي وأبي القاسم الشابي وغيرهم من المفكرين التونسيين.

كلّ هذا كان بفضل وجود هذه المجلة النيرة التي جلبت هذه الأقلام بصفة تطوعية، وبصمود مديرها الذي كان يتحدى كل الصعاب التي كانت تعترض طريقه بعزيمة فلاذية، ويعمل في الآن نفسه على استمرار وجودها إلى يوم الناس هذا. كما لانسى جهد أسرة تحريرها التي شاطرت الأخ عبد القادر في مواصلة مسيرتها الإصلاحية. مما جعلها بحق هالة نورانية في ولايتنا حيث ولدت مجلة صغيرة تعني بأدب الطفولة والشباب، تدعى بقطاف الإتحاف التي فتحت رحاب صدرها للأطفال والشباب، حاثّة إياهم على كتابة القصة والرواية والشعر والدراسات كإعلام بلادي، مما جعل أخانا الدكتور محمد الرزقي يشيد بها في قنوات الإعلام المسموعة كإذاعة الكاف والثقافة بتونس، والمرئية كتنقاة 21 وحنبل بتونس مما جعلها معروفة في الأوساط الثقافية كأهمها الإتحاف ومجلة المسار وغيرها من المجلات الوطنية بدون تمييز .

بهذا يحق لي أن أشيد بخدمات أخينا عبد القادر الهادي الذي كان رئيسا لهذا الفرع الذي احتضن جمعا لا يستهان به من الكتاب ولا يزال يحتضنهم بكل سرور، وأعدّه كما أعد غيره من المسؤولين الجهويين على القطاع الثقافي، بأن يكون هذا الفرع من اتحاد الكتاب التونسيين بسليانة عند حسن ظنهم. ولم يبق لي في الختام إلا أن أقدم أخانا السيد السعيد المنصوري، ليحدثكم عن شاعرنا الشعبي الكبير محمد الحفناوي طاع الله وشكرا .

الشاعر: محمد الحفناوي طاع الله

بقلم : السعيد المنصوري

ما أروع أن نبارك لمبدع عامل مجتهد جميل صنائعه وجليل أعماله



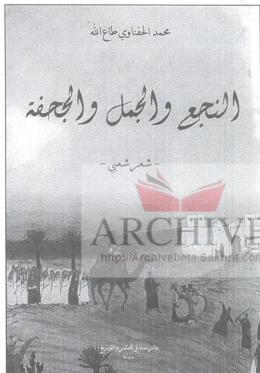
وهو حي يرزق ليقبس من ثناءنا
ويستلهم من العناية المركزة
والرعاية الموصولة ويعلم أين
ذهبت ألقانه ورسومه وأين
استقرت قوافيه التي حملت إلى
الملتقى همومه وما أهتم به طوال
عقود من الزمن، زمن تعددت
نكباته وتعددت أزماته فلا الغني

نجا بفضل غناه ولا الفقير سلم من شر آذاه.

في بادرة غير مسبقة تراءى لاتحاد الكتاب التونسيين فرع الشمال
الغربي أن يكرم أبناءه البررة ويلقي الضوء على المغمور من حياتهم
وينفض الغبار على انتاجاتهم الغزيرة المكونة في مخطوطات لم تعثر على
طريق النشر وبالتالي ظلت مخفيه على كل قارئ مهتم بهذا الفن.

وضيفنا المبجل هذا اليوم هو الشاعر الفحل محمد الحفناوي طاع الله
صحب النجع والجمل والجملة.

والنجع والجميل والجحفة هو كتاب للشاعر يحفظ القليل القليل
من انتاجاته التي نسمع عن وفرتها الهائلة.



هذا الشاعر
المخضرم الذي
كان شاهدا
على عصور
مختلفة أثبت
فيها أنه شاعر
صفة وشخصا
وذلك من
خلال ما نرى
فيه من صفات
ومواصفات لا
تنطبق على
الآخرين من
العامة فهو

المغترب في دياره روحا والمنفي في أقاليم شعره قلبا والكاتب لمحامده
تواضعا والساحر من سلوكيات هجينة كدنا نألفها ونعدها في عرفنا
عادة ترفعا.

هذا الرجل ذو التكوين الزيتوني الذي أتاح له حفظه للقرآن

الكريم وللمتون الفقهية واللغوية تطويع اللفظ والمعنى مما يسر له الإعجاز في كل غرض اعتزم الكتابة فيه.

الذبيب متو تبرّا

والبير ما ضمزلوش حتى مضرة

أما البحر ولدي رماه البرّه

قادف صديد الكاس يعدّ شرابه

إن شعر الحفناوي نموذج تمثيلي للشعر الشعبي طوال النصف الثاني من القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ويمكن اعتبار هذا الشعر في تجانس مضمونه ولغته وأسلوبه كنموذج للشعر في عالم البداوة في شمال غربي البلاد ذلك أن القواعد التقليدية مطبقة فيه إلى حد من العفوية تجيز لنا اعتباره نموذجاً للشعر البدوي ولغته من غير الخلفاء فيه أن الظن بأن المثل الأعلى التقليدي الكلامي مدين في تعريفه الأخر الشعرية للأمثلة التي قدمها عنها الحفناوي ومن اليسير علينا أول مرة بفضل هذه المجموعة أن نعتبر هذا المبدع فنانا تميز من أقرانه بقوة ويسر وغنى بلغت به أوج النبوغ.

ولئن كان الكلام عن الكلام صعباً فإن الحديث عن صاحب الكلام أصعب وأخطر باعتبار أن شخصيتنا يلفها الغموض المطلق وتسربلها نقاط الاستفهام لما في تركيبها الشاذة والمعقدة من أسرار تثير الفضول وتشاغب عقول كل من اعترضت سبيلهم هذه القيمة المتحركة.

كانت اعماله رغبة لا رهبة وكانت لخدمة الشعر لا لجمع المال، فكم مرة عرض عليه الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة سببا لاكتساب ثروة تؤمن حياته وبنيه إلا أن عزة نفسه وأنفته ترفعه وتعفقه منعه من أن يحصد ما لم يزرع ويلبس ما لم ينسج رغم حالته المادية المتردية المدينة والمتدنية وهذا لعمرى ضرب من ضروب النبل والشهامة في زمن وزنك فيه يساوي رصيدك من منقولات وسيولة لا غير.

لم يكن شاعرنا تاجرا بشعره تكسبا وتزلفا في مدائح رخيصة وكاذبة كان مترفعا عن السباب الذي يسمونه هجاء فأصبح بحاله الشعري أوسع وأرحب وأفاقه أسمى وأرفع ولم يقلب شعره إلى سلعة وشخصه إلى حامل مباحر وإلى بائع كلام ولم يكرس الصنمية في أشخاص تافهين أو ظالمين كما أنه لم يساعد على ترسيخ طبقة بشعة مستغلة والتي هو الحياء ضحاياها مع ملايين غيره.

<http://Archiwebeta.Sakhrat.com>

ونختم بالقول ان من حسنات شاعرنا عامة أنه نقل الكلام الذي يهجس به من عاديته وابتداليته وضحائه إلى فصاحته إلى تشكيله الصوتي المهتر بإيقاعية تمكنها أن تحيله إلى بيان سحري يسيطر بعذوبته وفخامته علينا لعمقه وقدرته على تحطيم النظام النموذج وابتكاره لعالم خاص به ومتميز لأن هذا البيان البليغ قادر بتشكيله الايقاعي والصوتي على أن يتحول إلى تحفة لغوية مشعة من الخارج رغم انطفائها من الداخل أو أناشيد ترتل فتتم سمفونية الإبداع وكفى بذلك شعرا.

اعتراف، تكريم وعرفان للأستاذ عبد القادر الهاني

بقلم : محجوب الطرابلسي

تكرّما... تقديرا ووفاء لإنسان أعطى بكل صدق للثقافة والمثقفين في تونس وأحبيائه بكل صدق، شجع كثيرا من المثقفين والأدباء داخل ولاية سليانة وخارجها احتضن عديد التجارب الشعرية وشد على أيدي أصحابها وتبنى إبداعاتهم من نشأ وترى في بيئة غيور على الثقافة والأدب وترعرع في أرض أنجبت بن أبي الضياف الذي ترك لنا درة ثمينة في التاريخ : إتحاف أهل الزمان فكانت مجلة الإتحاف الثقافية الأدبية لمسة وفاء لهذا الرجل المورخ الذي أرخ لنا تاريخ تونس، كما دأبت هذه المجلة على رأسها مديرها ومؤسسها الأستاذ عبد القادر الهاني على تنظيم ملتقى سنوي لهذا الرجل بلغ في ماي الفارط دورته الثامنة عشرة لم يتوقف نشاط أستاذنا عند هذا الحد بل أسس "دار الإتحاف للنشر" التي أتاحت للعديد من مبدعي الجهة وغيرهم طبع ونشر إبداعاتهم الأدبية والثقافية عموما.

وما زلنا كما عهدنا هذا الرجل يخطو خطوات ثابتة في سبيل تنشيط الحركة الثقافية في هذه الولاية التي دافع عن مثقفها وشجعهم

وكرمهم وفتح لهم باب مقر المجلة وباب فرع إتحاد الكتاب بالشمال الغربي الذي اصرّ مؤخرًا أن يكون بولاية سليانة فرع اتحاد كتاب خاص بها وأن يتفرغ له وحده وفتح لهم أيضا باب منزله، فكنت وشقيقي من بين الذين حضوا بهذا الدفاع وهذا التشجيع وهذا التكرم في كافة الأمكنة التي كان يرتادها أستاذنا.

الأستاذ السيد : عبد القادر الهاني لا يحتاج إلى تقديم ولا إلى تعريف لأنه مؤمن تمام الإيمان برسائلته الثقافية والأدبية وطريقه واضحة ولقد كرس لها عمره وكلفه جهدا وتعبا كبيرين ولقد ضحى ومازال يضحى بالنفس والنفيس في سبيل إعلام راية الثقافة والمثقفين في هذه الولاية وهذه البلاد عموما عالميا. كيف لتلميذ أن يقدم أستاذا تعلم منه الكثير وكيف لشاعر أن يقدم مفكرا تربى في مدرسته : مدرسة مجلة الإتحاف؟!... وكيف سنكرم من كرمته جل الولايات في تونس وكرمه ملتقى المربد بالعراق، وكرمه أعلى هرم في السلطة راعي الثقافة والمثقفين في تونس رئيسنا زين العابدين بن علي .

إن أقل ما يمكن أن يُفعل إزاء هذا الرجل الاستثنائي هو أن يؤلف كتاب يؤرخ لأعماله الثقافية التي قدمها للجهة خاصة وللوطن عموما طيلة أكثر من نصف قرن.

وأنا مستعد لإعداد هذا المؤلف لو توفرت لي المعلومات الدقيقة والوثائق اللازمة حول سيرة هذا الرجل الأدبية والفكرية والإنسانية الحافلة بالنجاحات والصمود والعبر.

لقاء مع الكاتب:

محمد الناصر خالدي

أجرى الحوار : محمد العائش القوي

س 1 : من هو الكاتب محمد الناصر خالدي ؟

ج 1 : محمد الناصر خالدي من مواليد المتلوي - ولاية قفصة- بتاريخ 1969/11/14 وأشتغل حالياً موظفا بوزارة الداخلية والتنمية المحلية .

س 2 : أين نشرت معظم كتاباتك في تونس وخارج تونس؟

ج 2 : كانت البداية تحمل شظايا في شكل معاناة وخواطر واحاسيس اندفعت لتمزق حجاب الصمت واللامبالاة وكنت لا أرى الوجود وجودا إلا عندما أتحمس كلماتي المنطلقة من قاع كياني في ثورة عارمة فكتبت في مختلف فنون الإنتاج الادبي من خواطر واشعار وقصص وخاصة الخواطر التي كان لها نصيب الأسد في النشر على اعمدة الصحف والمجلات الوطنية والعربية حيث للصحيفة أو المجلة الدور البارز في إنارة الزوايا المظلمة إذ تخرج الكلمة صادقة بلا لبس ولا تزيف حيث كانت كـ "دمعة وابتسامة" أول خاطرة تنشر لي على أعمدة الصحف الوطنية وقد نشرتها ثلاث مرات تحت إلحاح من الأصدقاء والزملاء : المرة الأولى في صحيفة الصباح الأسبوعي بتاريخ 11 جانفي

1988 والمرة الثانية في مجلة "المجلة العربية" السعودية بتاريخ مارس- آذار 1990 والثالثة في الملحق الثقافي لجريدة الحرية بتاريخ 11 ماي 2006 وتوالت الانتاجات في صحف وطنية كالشروق والصدى وصباح الخير والبطل وهذه عينة من هذه الخواطر : تساؤلات - آهات الزمن الغريب، سؤال إليها- حياتي- شمس الأحلام- من تكون ؟ رحلة إلى موطن الأمل - همسات على وشك الولادة - الركض خلف المجهول .

س 3 : لماذا نهتم فقط الآن بالبحوث والدراسات وشخصيات في الفكر والأدب التونسي خاصة ؟

ج 3 : منذ فترة ليست بالقصيرة اتجهت شبه كلي إلى كتابة العديد من البحوث والدراسات والمقالات معظمها أخذ طريقه للنشر وقد كان للملحق الثقافي لجريدة الحرية تحت إشراف الشاعر عبد السلام لصيلع الدور الكبير والبارز في احتضان مثل هذه المساهمات :

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ففي باب الأعلام كتبت عن : ابراهيم طوقان شاعر الوطنية ، غسان كنفاني- الأديب الشهيد، زين العابدين السنوسي : المفرد في صيغة الجمع، من الأدب النسائي ليلي العفيفة، ابو القاسم الشابي في مرآة الشعر العربي...

وفي باب السجالات والتعليقات كتبت عن : الشعر والموسيقى (في حلقتين) تعليق على مقال للاستاذ توفيق السبعي : حول أنحني لرائد فكر عملاق (سلامة موسى) تعليق على مقال للأستاذ الراحل الشاذلي زوكار، حول الأستاذ ابي القاسم محمد كرو مرة أخرى وهو تكملة

لمقال الأستاذ محمد الصادق عبد اللطيف، نقد وتصحيح : عن مقال للأستاذ عبد المجيد الساحلي .

فالإنتاج الأدبي والفكري لكل كاتب أو أديب هو وليد اللحظة الراهنة فكتب حيناً خواطر وأشعاراً وأحياناً أخرى ما تحفو له نفسه من كتابة المقالات والدراسات والبحوث.

س 4 : هل تفكر في طبع كتاب الآن لجمع ما نشرته من دراسات وبحوث وخواطر ومقالات ؟

ج : في البدء كنت أطمح إلى زرع معانتي (الخواطر والأشعار والقصص) وإلى نشر إنتاجي الأدبي الآخر (الدراسات والبحوث والمقالات) وما أمسكني على أديم الصحف والمجلات لأظهر لذاتي أنني موجود في هذا الزخم الهائل، وبعدها أدركت هذا الحلم وهذا الهدف المنشود لتضخم طموحي لياخذ بطبعه حجماً أكبر برؤية كتاباتي وذلك في تجميع ما كتبه ونشره في كتاب يحمل إسمي ولكن هذا الحلم يبقى في داخلي وفي جوانحي إلى أن تحين الفرصة السانحة.

س 5 : ما هي مشاركاتك في الملتقيات والمهرجانات التونسية ؟

ج : تبقى مشاغلي الوظيفية والحياتية العائق الوحيد في عدم مشاركاتي في الملتقيات والمهرجانات والفضاءات الثقافية على المستويين الجهوي والوطني ويبقى المهرجان الوطني للشعر بالمتلوي منذ انبعائه سنة 1993 من أهم المهرجانات الثقافية التي واكبتها وعاشتها بكل كياني وجوارحي .

الشاعر عبد القادر الغربي في ذمة الله

بقلم : مبروك صالح المناعي

رحم الله الشاعر عبد القادر الغربي رحمة واسعة ورزق أهله وأقاربه



وأصدقائه وزملائه جميل
الصبر والسلوان.

إنه من الشعراء الفحول
المجيد المبدعين بلغة الطناد
وقد التزم بكتابة العمودي
فعالج قضايا إنسانية فيها
كثير من الوطنية والقومية في
أغراض متنوعة حسب ما
اعترضه في مسيرته النضالية
الطويلة.

كان شهما أصيلا متواضعا. عمل أستاذ عربية فكان مرييا مخلصا في
رسالة التدريس إلى حدّ التقديس.

كان محباً لوطننا تونس بقوة ومحبا لموطنه طريقة كثيرا وللوطن العربي بممه وللإسلام بإيمان صادق وعقيدة ثابتة حيث أنعم الله عليه قبل أن يمرض وقبل حضور المنية بأن حج بيت الله الحرام مصحوبا بزوجته الفاضلة فضيلة فللول الفنانة التشكيلية المعروفة.

بدأ الكتابة شعرا ونثرا في الصحف والمجلات منذ كان تلميذا بمرحلة التعليم الثانوي بالعربية والفرنسية متأثرا بالأدب الفرنسي بالاتجاه الفلسفي لدى فولتا رومنتسكيو وجان جاك روسو.

لم يكن مكثرا في البداية بسبب رسالة التدريس كما شغلته التنقلات العديدة ومسؤولية الأسرة ونضاله الوطني الثقافي.

تعرفت إليه في فترة متأخرة لما صرنا متفاعدين حيث أصبحنا نشيطين في حقل الثقافة خاصة في المطالعة والكتابة.

لم أره ولو مرة من قبل رغم أننا نساكن بنفس الحي لأنه لم يكن يظهر كثيرا بالشارع بينما كنت اسمع عن تدريسه المثالي وخلقه الكريم.

التقيته أول مرة مع زوجته في معرض لها برواق الفنون بين عروس حيث أصبحت عضوا معنا في الهيئة المديرة لجمعية أحباء رواق الفنون.

منذ تلك المناسبة صرت ألتقيه بانتظام فاطلعت على شعره الجيد بما فيه قصائد شبيهة بقصائد المتنبي فعجبت كيف تنام تلك الإبداعات فألححت عليه لينشرها.

اصطحبته إلى سي عبد القادر الهادي مؤسس ومدير مجلة الإتحاف حيث بعث دارا للنشر، قدمته له فتبين أن الغربي كان زميلا لابن عم

الهاني ببتروت.

وكانت النتيجة إصدار أول كتاب للغربي اختار له عنوان "لماذا" كما اختار له صورة الغلاف صورة شاملة لمدينة طريقة صدر عن دار الإتحاف للنشر بسليانة سنة 2003.

ولد عبد القادر الغربي بطريقة في 3 سبتمبر 1936 زاول تعليمه الابتدائي بالمدرسة الفرنسية العربية وتعليمه الثانوي بمعهد ابن رشد بالعاصمة حيث نال شهادة التحصيل العصري بجزئيه في شعبة الفلسفة ثم خرج في بعثة عن طريق وزارة التربية القومية إلى العراق فدخل التعليم العالي بجامعة بغداد في كلية التربية تخرج منها بالإجازة في اللغة والآداب العربية.

بدأ التدريس بالقرى ثم بياجة ثم ببتروت تحول بعد ذلك للتدريس بالجزائر عاد بعدها إلى ببتروت ثم عين ملحقا اجتماعيا بليبيا بالقنصلية التونسية في طرابلس مدة أربع سنوات ختم بعدها مسيرته التربوية بمعهد بن عروس إلى تقاعده المبكر.

أصدر كتابه الثاني بعنوان : "مدائن في الذاكرة" عن دار سنابل للنشر بسليانة (وهي ابنة الإتحاف) وذلك سنة 2007.

وهذين الكتابين ألححت عليه ان يقدم مطلبا للإلتزام إلى اتاد الكتاب التونسيين فلبى الاقتراح حيث أصبح عضوا به.

تألم كثيرا لمحنة العراق فكتب عنها عدة قصائد تقطر أوجاعا ومعاناة منها هذان البيتان :

حلمنا يا عراقنا أن تعود لصفوف العروبة الشامحات
فإليك محبتي واشتياقي وإليك السلام والمكرمات
ولشدة حبه لموطنه وحنينه إلى معهد الطفولة في أرض الأجداد
جادت قريحته بما يلي:

كفأك طبرقة فخرا كفأك إطار يروم سناء علاك
شواطئ تلثم ثغر بماك وغاب يعطر عذب هواك
وكم تأثر الغربي بالتحول فابتهج وانتشي وبارك التغيير إلى حدّ
الإنشاد والترنم بالمكاسب الثمينة :

حري أن تشاركني القوافي نجاحات التحول كل عام
فذا عهد جديد قد أقام مشاريع السعادة للأنام
وفي الأثناء أصدر الغربي كتاباً ثلث لمجموعة مقالات عن دار سنابل
للنشر بسليانة وله كتاب رابع بصدد النشر.
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الشاعر عبد القادر الغربي رحمه الله يستحق لفتة من نقادنا لدراسة
إنتاجه الشعري الملتزم لأنه عالج قضايا إنسانية هامة .

لسي عبد القادر ولدان وبنت توفي في بن عروس يوم 27 سبتمبر
2010 عن سن 74 سنة ودفن بالزلاج.

إن الموت حق علينا بينما الفراق صعب، مرير وأليم. رحمك الله يا
أخي العزيز، يا صديقي الحبيب، يا رفيقي المخلص، يا جليسي الوفي.

القائد صالح البوراوي في الذاكرة

بقلم: حسن ظاهر الرفاعي



إنها الذكرى الرابعة لوفاة
قيدوم الحركة الكشفية بسليانة
القائد "صالح البوراوي" الذي
رافقت طفولتي وشبابه الناشط
الحيوي رحمه الله حين كنت بفرقة
حشاد الكشفية فوج سليانة التي
امتد نشاطها إلى سنوات.

وكان رحمه الله من
الملازمين لنشاط الفرقة التي تكونت

في آخر الخمسينات، رفقة قادة لازلت أذكرهم، ولكن القائد صالح،
وبصراحة الكشاف كان أكثرهم التحاماً بنا في النادي وأثناء الخرجات
والرحلات...

كان يصحبنا رفقة معلمنا القائد محمد الصيد في المخيمات التي كنا
نقوم بها وأغلبها داخل حدود معتمدية سليانة كـ - عين بوسعدية وجامة
وكسرى ... ماعدا الرحلات التي تكون سبباً لتجاوز الحدود.

كانت علاقته بنا علاقة المربي، علاقة القائد بأشباله، فهو المرشد، الناصح والموجه...

كان يتسم بالجدية والاخلاص وحسن التعامل معنا ومع الناس، البساطة وطلاقة المحيّا حتّى في الحالات الاستثنائية، إذا تحدّث تكلم بحماس مع إشارات وملائم وقسمات معبرة، خاصّة في حصص الإنشاد فصورته الجمهوري رحمه الله يصفى جمالا ورونقا وما تجود به قريحته من إضافات ببعض الأبيات.

أما براعته في الإنشاد الصوفي والمدائح والأذكار وتلاوة القرآن الكريم، بلغ ذروة ما عليها غبار. ولم يقتصر المرحوم في نشاطه على العمل الكشفى، فقد نشط قبل ذلك في الشبيبة الدستورية وتمرّس فيها إلى أن حمل شارة القيادة وواصل عمله الحزبي الوطني والشبابي التربوي، حتّى أنّ فترة الشمول "اتحاد الشباب" لم تنح من ممارسته للنشاط الكشفى كـ "أشبال الجمهورية" و"بناة الجمهورية" وقد تحمل مسؤولية تنشيط الشباب بمعتمدية سليانة ولاية الكاف آنذاك.

وبروحه التضالية وجذوره الممتدة في سليانة وبحكم تشبّعه بمحبة الوطن من خلال تكوينه الرّوحي والعقلي والجسمي وأخذته من الدنيا ومن حياته فيها فقد تعلّم القائد صالح كيف يعطيها، حيث أنّه تطوّع لمعركة الجلاء عن بترت وشارك فيها.

والملفت للنظر أن القائد صالح بن الطيب البوراوي يمثل في حدّ ذاته اتحاد منظمات وجمعيات، فهو إلى جانب ما ذكر، مارس التمثيل واحكم اتقانه ونشّط العمل التطوعي واختص فيه بالخدمات التي كان

يقدمها ضمن القوافل التي كان يقوم بها شباب سليانة من فتيان وفتيات مع بداية السبعينات في التجمعات السكنية التابعة للمعمدية كـ سيدي حمادة، الخلصة وجامة... وكان آنذاك السيد عمار العوفي الزريري يشرف على ذلك النشاط.

فكان عمل القائد صالح في خدمة الغير، على الخير وخير العمل، فنشاطه الزاخر امتدّ إلى الثمانينات، فكان رحمه الله يصحبنا في المخيمات ويشارك في بعض التّدوات والمؤتمرات الكشفية الجهوية وذلك حسب ما



تسمح به ظروفه المهنية، كما كان يحضر بعض الدراسات ويساهم فيها ويحييها على طريقته الخاصة بتنشيطه المتميز،

فهو البارع والمبتكر في هذا المجال وقد كرّمته السلط الجهوية في عدّة مناسبات .

وقد حاولت الجهة الكشفية أن تردّ له شيئا من الجميل فكرّمته سنة 1988 وذلك باسناد "شهادة تقدير" وآخر نشاط كشفى حضره المرحوم رفقة البعض من أبنائه كان أثناء دراسة ابتدائية بالقنطرة من معمدية سليانة الجنوبية خلال ربيع سنة 2004. وقد تحمل قائدنا صالح عضوية شعبة

التعليم الابتدائي والثانوي إبان أحداث الولاية وكان فاعلا في النشاط بحكم انتمائه للأسرة الموسعة في التعليم الثانوي بمدينة سليانة آنذاك .

إن كلمتي هذه المختصرة لا تفي المرحوم حقّه، "جعل الله كلّ ما قدّم من أعمال في ميزان حسناته " ، فما أعرفه عن قائدي صالح الذي واكبته طفولتي وشبابي والتقيته آلاف آلاف المرات في عديد المناسبات وحتى عندما بلغ أقصى كهولته كنت ألتقي به تارة في الطريق وأخرى أمام منزله، وفي إحدى المرات وبعد حديث معه ختمه بقوله رحمه الله: "أيام السّقم

معدودة".

بعدها

غادرته وأنا

أتأمل ما

مضى فبدا

لي الأمس

حاضرا

واسترجعت



شريط الذكريات واللعبة الكبرى عندنا في الكشفية، هي لعبة تربوية، استغلها القائد صالح ذات مرة في مخيم ليلقن درسا في الانضباط، حين أحلّ أحد القادة بمسؤوليته بث القائد صالح خيرا بأن أحد الأفراد توعّكت صحته، وعند حلول القائد أعلمه بأن الشبل مات، ولكن سرعان ما تدارك الأمر وأمر الشبل المسحّى والذي تحفّ به الأفراد، بالاستعداد قائلا "استعد فنهض الشبل بعد أن كان ممتداً وفي خضم هذه الذكريات انتقلت إلى جبل

برقو وعين بوسعدية واللعبة الكبرى هناك قرب مقبرة الشهداء وما حدث ... في أحد المخيمات في ليلة ليلاء: "قيل لنا أن الأموات لمحضوا مرتدين الأكفان وقد أشعلوا الشموع والنيران داخل المقبرة، فاستعدوا للمعركة مع الأموات"

وهكذا واصلت سيري وأنا غارق في بحر من ذكريات النشاط فسقطت من عيني دمعات على قائدي "صالح" الذي أبكىه في الحياة، وآخر مرة زرته في المستشفى رفقة القائد يونس الصويغي فاستقبلنا بروحه المرحه ونكته الطريفة وحدثنا عن إيمانه العميق بالرفيق الأعلى سبحانه وتعالى ، وحين أبلغناه سلام أختنا القائد حمادي بوقطف قال: "سلمولي عليه ونوحي ونعمل أنشودة" زرته بعد هذا اللقاء مرات وبعدها عاد إلى منزله فأطمئنت عليه ولكن رحلته في الحياة بلغت نهايتها يوم الإثنين 02 أكتوبر 2006 الموافق لـ 09 رمضان المعظم 1427 هـ وقد بلغني خبر وفاته بعد ساعات، فسبحانه الدائم، سبحانه الحي الذي لا يموت، فطلما أشاعت مأذنة جامع التقوى بسليانة صوته الرحيم مردداً الله أكبر.

رحم الله قائدي صالح الذي أصلح الله رأيه في الدنيا التي غادرها مطمئن البال إن شاء الله فليكن إلى حوار الرحمان، وليكن صيرنا وصير أفراد أسرته أجرا له عند الله.

وصدق أحسن القائلين: بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. صدق الله العظيم

" باسل " يفجّر شوارع الصّمت

" إلى الصديق والشاعر عمر سبيكة ...

بمناسبة صدور مجموعته الشعرية السادسة تحت عنوان :

بيان الحديقة..."

شعر: صالح الطرابلسي

من خلف زجاج براءته



ARCHIVE ينظر الطفل :

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

تترأى له الصورة البشعة،

يشعة... يشعة ! ...

على بساط هذا الزّمن

المترامي :

الحياة كأس بها الرّوح

قد جفّت ثمّالتها ! ...

وأفعى الكوبرى

قبالتها منتصبه ! ،

الأفعى ...

تمطّط الشفة على الشفة،

تمسح طرفيهما ...

باللسان تلذذا،

ثم تمشي في الورى،

نافثة زيفها الملوّث بالسّم



ARCHIVE : في باحة المعبد :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

: الحاخام الصّيرفي :

موصوما بلطخة من دماء،

قد ألقى يعبث

بأجساد ضحاياه،

ومريم ...

على ضفّة الوادي،

قد قبعّت في الخراب

تبكي ضياع الأرض والعرض،

وإخوة حولها :

الواحد منهم يأكل

لحم الآخر حيًا وميتًا ! ...

في الأرض غيب ...

ومساحات من الأمنيات :



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لا يزال يبحث عن قطرة

من مطر !

ظامي "باسل" :

لا يزال يجمع شتاته المبعثر

كي يعدّ "بيان حديقته" (1) :

"باسل" ...

جسد من سلاله الماء

انتماء .

"باسل" ...

يرسم في الشوارع "وقع

خطاه " (2)

حناجر تفتف هازجة

بالحياة !

"باسل" ...

"افق الناي / جناح القطا ! " (3)

ARCHIVE

مازال يرفع تكبيرة قرفل

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في ساجها الدّيم "

باسل قلب ...

طافح بنبض البلاد ،

وعشق ليلي بالعراق...

والأرض بين جوانحه :

زلازلها تخفق

فيطلع من رماده الفينيقي ! ...

ثابت .

في رؤاه - باسل ،
يمتطي في الشارع المتدفق / جناحا
" هو ظلّه ...

يرفعه إلى شرفة الورد. "

زاده :

لغة بما " يتدفق في

قافلة الماء ... "

بريء من قهمة الإنحاء :

ARCHIVE

<http://Archive.Sakhrit.com>

الفاحين،

"متعبا بالقلق السّامري"

ينسج خيوط ملحمة

وجهها واحد ...

مقدّس وجهها ،

قداسة هذه الأرض العطشى !

يا ظلمة

هذي الشّوارع ...

هزّي المشاعل مضيئة

بالأهازيج ! ...

باسل ...

مازال يسقط في

ساح الوغى شاهدا

وشهيدا ! ...

باسل ...

مشبعة ملامحه بوعد



صامدا لا يزال

<http://www.balqa.com> يفشل كل المرات،

وحناجر الصمت

لا يزال يطلق قيدها

فتصرخ بالويل في

وجوه البغاة / الطغاة !

1 - إشارة إلى مجموعته الجديدة : "بيان الحقيقة"

2 - إشارة إلى ديوانه : "الأرض تركض خلف خطاها"

3 - إشارة إلى ديوانه : "أفق الناي/جناح القطا"

4 - ما هو بين ظفرين تضمين من شعر عمر سيكة في ديوانه المذكورة

أركان

شعر: آمال سفطة

في اللاوعي الكوني

عنفوان الكشبان تسيل في عروقي

ياليتها كانت أهارا

حافرا على الحافرا على الحافرا

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أين كنت أنا... أين كنت أنت

أيتها القطرات الزرقاء

يا إكليل أركاني...

مخيلتي

شعر: ألفة الشيعي

... رأيتك في مخيلتي رجلا شامخ القدود، راعي العهود

رأيتك في مخيلتي حبيبا من قلبي قريبا...

رأيتك لا تريدني أن أشيل حزنا أو جرحا لدى حينا...

رأيت الحب في قلبك كأنه يجبر طابش ليس له قرار...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حتى أصبحو على حقيقة قناعك الموجود...

كأن قلبي يمشي بخطوات الألم فهائته الندم...

يا أسفي على قلبي المخطم وعلى قدرتي المحتوم...

أنت الذي قلت مهما طالت السنين

سيبقى حبي مرسوما على واحة قلبك المحب

أي قلب لديك أنت .. أي قلب لديك أنت ..

لديك قلب مخادع ... مثل القناع الذي كنت ترتديه

ها أنت الآن مجرد ذكريات يطويها الزمان

ومجرد حكاية تحكيها الأيام ...

مأخوذة من أحزانك وليست من أحزاني

لن أبكي يوما من أجلك ... لأنك لا تستحق دموعي

ومثلما خستني سوف ترى الحياة يوما

بعد ذلك سوف تصبح نادما ...

على حب كبير مخلص أضعته منك

ستبكي بدال المرة ألف مرة

وسيصحى الضمير بعد موته ...

فلنصعد القمر

شعر: محمد صفر

حجر...

حجر.

عرب...

اسلام..



أرهاب بشر...
ARCHIVE
الليل جسيم
<http://Archiveofarabikhrit.com>

الأرض جسيم...

ما باتت المستقر.

مستمر سام،

مستمر حام،

صام الكلام...

جفت الأقلام...

فلنصعد القمر.

بـتـول

شعر: جمال خضير الجنابي

كفالك...

عزفا على أوتار...

ماعدت...

كما كنت...

أغسل حلمي.. بأوها من أوجاعي...

كفالك...

رقصا على جثتي..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سامحني...

لم تعد كلماتي التي ترحف...

فوق ثغاف القلب...

تتهجى اسمك...

بل صارت لعنتي...

سامحني... لأنني حين أتهجى...

اسمك.. تحترق شغتي..

تخضر دمعتي...

شجرة الرغبة

شعر: المكّي الهمّامي

أفّض

سَيدي

خمرة الرفض

إلّني أريد المزيد

أفّض

إنّ عصري يحاصرني

كلّما قَام في دولة الشعر صوّت جديد

أفّض إنّ عصري البديء

وبال على الصامتين

ولكن

.....أنا اغتي مشرقه.

أنا قلق المفردات

تفكّر في اتّما

و.....تكون

وأرضيْتُ مَ زُرْقُ رِيحي

وأفمار قولي

ذهاب عصيَّ الى آخر المدركات

أنا القطب

لا شيء يسرق مني اغترابي المكابر

لا شيء يفتك مني غموضي

لا شيء



ARCHIVE إيسي

<http://Archivebeta-Sakhr.it.com>
.....تسردي شهوة خالقه.

أَقْلِقُلُ في الأرض كنت

كأني الرياح الطريدة

أغو يا شم شمس

وفي خطوطي أشعل الصبح للكائنات

أبشر

بالخو والهتك والصرخات

تُشَقُّ قِ قِ قِ ناصية القرن

كنت

ككلّ السّميين في زمن لا تقال

وأحمل مصباح حزني

وضيئاً

وأَمْضِي وحيداً

.....إلى المشنقه.



وَعِنْدِي
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhsat.com>

صحائف أكتب فيها

نشيدي

لمن شاء أن يأخذ الهدي عني

لأنني

.....نحيّ الزمان الأخير

وما من نبّيت بعدي

لأزمنة لاحقه.

أحاول وحدي حلم عنودا
أهَجِّجُ في سطوة الطين جمر رُبُوبِيَّتِي
وأخرق ملء الدّنى كَتَبِي.

أحاول وحدي حلما
وهذا صراط الكتابة ليس يطيق
بروق انكساري الأبي

أحاول وحدي



ARCHIVE بِاسْقََّة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تفتح الحلم للأحرين

ولكن

.....تضيق المسافة بي

وتنغلق الحلقه.

أنا متعب

ربما كنت واجهة الحلم
في غفلة من عيون العسس.

أنا متعب

والقصائد في حافة الكون

تَشْهَقُ مثل الجرس

أنا متعب

والخطى مطرقة.

رؤى قلتهن

وخوضت مهمة في بالدي

ARCHIVE رؤى قلتهن

<http://Archivebaibab.com> وأقسمت أن لا أؤوب

إلى البيت والأهل والناس

حتى يجفّ مدادي

رؤى قلهن

وكانت تُغْمِغِمُ في داخلي

امرأة نزقة.

شتاء الأقمار الزرقاء

شعر: عبد الفتاح بن حمودة

أحبك

تأتين،

تأتين،

وتأتي المياه.

أحبك

تأتين،

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تأتين،

وتأتي المياه.

ثم ماذا؟

جبالي سأنساها وأنساها.

أخذ منها الوردات الزرق وأحياها.

وأنساها.

أخذ منها القمر الضائع.

وأحياها.

ثم ماذا؟

أخذ من عواء نجمة في الطريق

حياتي..

أخذ من عيون الأساتيد أصابعي

وأذهب من أحلى الكذبات

ثم أنا في شيء أعلى

في شيء أحلى من بنت في العشرين.

ثم أنا في ضحكاتي.

ثم ماذا؟



لا شيء..

لا شيء في الأناوات.

<http://Archivebeta.org.uk/>

سوى أنني أنبت ماء في السقف.

وماء فوق الأشجار..

لا شيء..

ثم تذهب خطواتي..

ثم ماذا؟

أحياءك.

وأحياء صدائك. وأحياء وقوعي.

أحيالك.

وأحيا لأمنرق أقماري أو حتى ضلوعي.

وأذهب أعلى من نجمات الأرض..

والآن..

الآن أطلت ورداتي.

ونامت أصداف الرؤيا في خيماتي.

والآن..

الآن أذهب في الأقمار، وأذهب في الأمطار،

وأذهب في الريح،

وأذهب في النهار إلى عيوني..

أحبك <http://Archivebeta.Sakhril.com>

تأتين،

تأتين،

وتأتي المياه.

أحبك أو أحبك.

تأتين،

تأتين،

وردة في المتاه.

حبّ في زمن الهاتف الجوّال

قصة: هاجر بن حمادي

بين تلاطمات أمواج الحياة، مدّها وجزرها تمر الأيام متتالية في نسق حزين، كئيب ولا تستطيع "شوق" التملّص منه. تشبّ مثل كلّ ابنة حواء وتشبّ معها عواطف الأنوثة وتضحى تترقب حلمها الضائع بين طيّات العالم حتى تجمعهما الحياة في قارب واحد.

لقد عرفت شوق العديد من الشبان وتطلّعت برفقتهم إلى أن

ARCHIVE

تغفّق قلبها بسرّها من حبّها وتخبّئ براعة ذلك الشعور

لكن قلبها أبقى أن يمثل لأمر الحب بل إنه حتى لا يفقه طبيعة هذا الشعور.

"فمن ذلك الذي سينتشلك من غياهب الموت ويحييك من جديد؟ من ذلك الذي سيبعثك إلى عالم الشعور، من ذا الذي سيخطّ كلماته على صفحات قلبك ويأسرك بهواه تشربان ماء زمزم وتأكلان التفاح؟؟؟؟"

بينما كانت شوق في ظلّ تلك التخمينات، رنّ هاتفها فالتفتت
بطرفة عين، إنه رقم لا تعرفه . فمن الذي يكلمها؟ إن كان غيبًا من
أولئك الذين عرفتهم وكانت لها معهم علاقات موجعة ومهينة،
فهي لا تريد.

-ألو من معي، أهلاً...

وانقطع الخطّ فتساءلت عن الخطب ثم تمتمت "ما قلّة الأدب
هذه؟ يتّصل ولا يريد التكلّم. إذن فليذهب إلى الجحيم من اتّصل
ولا يريد التكلّم. إذن فليذهب إلى الجحيم من اتّصل، لا يهم..."
وعادت إلى سريرها لتستعيد الغوص في عالمها الداخلي علّها تخرج
مما هي فيه من كآبة دفينّة لا تعرف لها سبباً.

لكن الهاتف منعها فعاود الرنّ مرّات متتالية مع نفس ردّة الفعل،
فطردت كل تلك الهموم وصار همها الوحيد التعرف على هذا الرقم
الذي يزعجها.

آه، مهلاً إنّها إرسالية، فهرعت تتصفح محتواها، إنه هذا المجهول
"أنت الوديعة كساقية من خبايا الربيع

أنت المتدفقة موجاً من الحب والعطاء

صمتك بحر، شدوك سحاب يابس ونعاسك مطر وناي

يا حاملة مشكاة الغيب بظلمة عينيك

ترمين بلغة الأحزان من وحي روح ملائكية

كمن على قلق يطمئن وعلى وعر يستريح

هكذا أنا رمزي إلى حد الغموض ولا أحسن المحاملة.

هكذا تخيلتك يا ملاكي، هذا طبعاً إن أردت أن تكوني كذلك "

لقد وقعت تلك الكلمات على نفسها وقع الماء على نار كانت

مضطربة في قلب شوق، إنها كلمات ليست كالكلمات.

وبلا شك لشخص ليس كبقية الأشخاص، هذه النقوش لا يدعها

إلا قلة نادراً ما يوجدون، فردت عليه "من أين تأت بالفصاحة كلها

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

وأنا يتوه على فمي التعبير

لكن قل لي أولاً، هل أنت إنسان أم ملاك بعثه الله شفاء لعلة قلبي".

في تلك اللحظة أعلن دستور جديد للحب بينهما دون أن يعرف

أي منهما اسم الآخر أو معطيات شبيهة لأنها مجرد بطاقات ملصقة

لا تعرف أي منهما اسم الآخر أو أي معطيات شبيهة لأنها مجرد

بطاقات ملصقة لا تعرف بحقيقة الشخص ولم يمتلك الإنسان حق

تقريرها أو اختيارها. كانت مكالمتهما راقية جداً تتعالى عن الرتبة

و يغوص كل منهما في عالم آخر.

لقد عرفت شوق في ملاكها ملاكا حقيقيا سرعان ما هف نسيمه على قلبها فوهبها الحياة وملك فكرها وانصهر ي نسها فبات لا يفارقها. لكن خيبات أملها مع مع غيره من الشبان باتت تراودها مثل الكابوس فكانت تارة تلحم صوت نفسها المتشائم وأخرى تجاريه فتقول " أيعقل أن يكون سطوحيا، غبيا، جنسيا مثل غيره. فهل يعقل أن تكون تلك الرقة والرفعة مجرد قناع يستميلها به ليتلاعب بها ويتركها منفية تعيش مأساة كل فتاة أعمى الحب بصيرتها؟ أهو وهم سرعان ما سينقضي؟ أم أنه حبها الذي انتظرت

طويلا ومن عليها القدر به؟ فهل هو عصر المعجزات؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>
هذا الكابوس لا بد له من نهاية وإلا عشت في عذاب مميت

وتخاصمت مع نفسي ونغص علي حياتي. فما العمل إذن؟ ليس لي من خيار سوى أن أقابله لكن ذلك سيجرني من برجي العاجي الذي بنيته وإياه وإياه بل إني سأعيش لذة هذا الحلم حتى وإن كان وهما. فليكن ليت كل الأوهام هكذا.

ليتها كانت، ليتها كانت كذلك.

وسارت شوق يحدها شوق غامر للقاء ملاكها الذي اعتذر لها

قائلا: آسف، لقد أخطأت الرقم...

حوار مع الرسامة التشكيلية

حياة الوسلاطي

"ريشة لامعة في أردي"

حاورها: عادل الطرابلسي

الحركة الفنية التشكيلية هي إثراء الإبداع الفني ومواصلة تطوّره في التعبير عن الأحاسيس والأفكار للفرد والمجتمع حيث يعبر فيه الفنان على الإيقاع الداخلي وعلى الممارسة الحياتية التي تراكمت لديه والخبرة الكافية بالمادة وخصائصها وهذه المعرفة أتاحت له المزيد من الحريّات الذاتية والتعبير والإبداع...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

-حياة الوسلاطي رسّامة تونسية أصيلة مدينة بوعرادة تحذق الفن التشكيلي بكامل أنواعه وأيضاً كتابة الشعر والخواطر باللهجة التونسية واللغة العربية الفصحى.

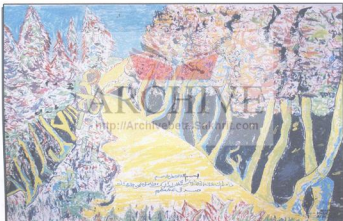
وقد لمست فيها الطرافة وخفة الروح والإبداع الحديد الذي يمكن أن يدخل قلوب الفنانين والموهوبين بشكل أهم...

وعن تشكّلها كفنّانة تشكيلية رأيت فيها كشاعر إنسانة رائعة زكية الفؤاد، واسعة الصدر، عزيزة النفس، معتدلة المزاج والتفكير، تتحدّث ببساطة وعمق، وفي أدب جمّ ودمانة خلق وقدرتها على الإبداع الشيء الكثير أيضاً وطموحها إلى النجاح وهي إنسانة نشيطة غاية في التواضع.

"وأرى أنّ الموضوع مفعم باحتمالات الأفراح والأحزان كأنّ أحدا يريد أن يبكى ويضحك في الوقت نفسه".

سألت نفسي عن خفايا نفسها "أكانت هذه اللوحات جملة، أم عبارة، أم مقطعاً، أم تأملاً، أم أسطورة، أم وصفا لمنظر من المناظر، أم تأملاً في من لحظات النفس والحياة..."

فقد كانت حرة في رسمها، في لوغها، والمفاجأة كانت بجمال لوحاتها المرسومة، فلكل لوحة تقريباً تصميمها المغاير، تخطّها بعض الأحيان باللونين



الأسود والأزرق أو الألوان الأخرى، فالأسود للموضوع والألوان الأخرى لتفسير ما يجب تفسيره لبعض الرسومات وفي بعض الأحيان كان التفسير باللون الأسود ولكن إيقاع الرسم التجريدي يختلف عن إيقاع الرسم التشخيصي.

هناك توزيع رائع للكتل اللونية مع الخطّ واتجاهه، مشكلاً كتلا فضائية في اللوحة وتوحي شعرا قبل أن تقرأه.

واحترام للعينين واحترام للجمالية الشعرية، فلوحاتها كانت متنوعة، إنّ جمالية اللون الأسود عند الرسّامة تحطّت كونها كونا للتعبير عن الظلة.

كما في مدخل الموضوع، ليصبح لونا يمتلك شخصية مستقلة وقوة تعبيرية تبرز أهمية باقي الألوان.

بالرغم من وجود مبرّر مادي يفرض نفسه وهو التعبير عن العتمة، فإن هذا التبريد يصبح عرض تشكيلي عندما يكمل هذا العمل الجميل على الصفحة المقابلة، ملوّنا الحصان بالأسود.

هذا اللون الذي تحرّر واسترجع شخصيته، بأن الأسود لم يعد لونا مساعدا في دراسة الظلّ أو إبراز الحجم بل هو لون قائم بحدّ ذاته متناغم ومتحاورا مع بقية الألوان، وذلك ما سعت وتسعى إليه الرسّامة حياة.

لم تتنازل قطّ عن صياغتها الجميلة لأفكارها ومشاعرها، التابعة من صلتها الحميمة بالأرض وتأمّلاتها في المحيط والطبيعة، وأرى فيها فتانة ذات حسّ مرهف، وذات رؤية تنبثق من نيات تكويناتها الجردّة، المستوحاة من أشكال طبيعة، استطاعت بقدراتها على استفزاز خيالها في ملمسها وطواعيتها.

-مع الرسّامة حياة الوسلاقي كان هذا اللقاء:

قلت لها: "قدّمي لنا نفسك فنحن في الحقيقة نعرف القليل عن الرّسّامين الموهوبين الشّبان..."

فابتسمت وقالت: أعرف أنّكم تحبّون الهادي التركي وزبير التركي والحياشي، وعلي بن سالم، وبوحنّدل... أمّا في ما يخصّني فأنا في الحقيقة

أتنفّس الريشة كما أتنفّس الهواء. ومعظم أفكارني هي لوحات فنيّة تشكيليّة متعددة ومتنوّعة، كان أبرزها الخياليّة والواقعيّة وقد بدأت تجرّبيّ منذ البراءة التي تمثليّ الطّفل، فالرّسم ولد معي منذ نعومة أظافريّ.

وبدأت علاقتني بالرّسم منذ الطفولة من خلال حبّي الشديد للفنّ التشكيليّ وتمتّ هذه التّزعة بداخليّ مع الأيام حتّى وصلت بي إلى مقاعد الدّراسة بالابتدائيّ ثمّ الثانويّ ثمّ الاطلاع على كلّ المراجع الفنّيّة الخاصّة بهذا الفنّ الجميل الذي اخترته صديقاً أو بالأحرى ظلاً لي بحياتي اليومية والشخصيّة والحياتيّة ككلّ، وقد تلقيت التشجيع بالمدرسة الابتدائيّة والفضل يعود إلى معلّمتيّ بالتربية التشكيليّة السيّدة "عجميّة الرياحي" كما تلقيت التشجيع أكثر بالمعهد من قبل أستاذي "السيد محبوب الهمامي". وواصلت موهبتيّ التي اعتبرتها كلّ شيء في حياتي حتّى بعد انقطاعي عن الدّراسة وكان لي الشرف الكبير أن أعتدّ عدّة معارض بالفضاءات الشبائيّة بمدينة بوغرداء وعارحها ثمّ وجدت الأستاذ الرّسام "حسين الجبالي" يساعديّ على إعداد معرض بدار أنشباب "حزندار" بتونس وهكذا تعرّفت على الشّاعر "عادل الطرابلسي" وكان الاهتمام والتشجيع والتّحاج أكبر حين وقف إلى جانبي وشاركت بمجلة الإتحاف وبرصديّ الآن لحظة عن موهبتيّ بعشرة كتب بهذه المجلة. أي مقال وصورة الغلاف.

- وكيف تقبّل من شاهد المعرض إبداعك؟ خاصّة على البلّور؟

- بصراحة كانت ردود الفعل طيّبة ولم أتعرّض إلى أيّ نقد... وإني سعيدة باستخدام البلّور، فالبلّور من أكثر الموادّ الفنّيّة إثارة للخيال، كما أراه في تجرّبيّ البلّور عندي مادّة أصوغ منها فكريّ، وتضمّنتني رؤيتي في الوقت

الذي أمارس فيه أقصى درجات التحدي للسيطرة عليها وإخضاعها لكمال الإبداع، ومن الممكن أن تكون الريشة بدورها تبهر ما تخلفه على البلور من ألوان فتصبح رسماً وبدوري كل شامة. فريشتي ذهبية تعبّر عن وجودي وقوانين حياتي التي أسعى من خلالها إلى تحقيق كمال الفكر بكمال الشكل. والمثل يقول: "يومها كان الرسام هو المبدع والمبدع هو الرسم". فالقبتان هو



مبدع لأعمال تجريدية وتشخيصية وذات أشكال هندسية تشكّل شكلاً حرّاً أو شبه حرّفي كبير من الأحيان.

هل شعرت بفرق بين الرسم بالريشة والرسم بأدوات أخرى، مثل الكي على الخشب والحفر على الجبس؟...

-الرسم رسنم سواء بالألوان والريشة أو بمواد أخرى أكثر إبداعاً وتقنيات، غير أن لمسات الريشة ممتعة جداً والحمد لله أن الناس تقبلوني من أوّل تجربة

فأنا أحاول بواسطته أن أعبر عن أحاسيسي والرسم أو بصمات الريشة يتخلف مواضيع، أحاسيس وأفكار واسعة وهو يعبر عن صرخات صامتة منبعثة من صميم الفنان الراسم ويعبر عن صمت الليل، صمت الصحراء صمت الغابة وصمت البحر وسكونه.

وإدراك الإنسان لهذه الأنواع المختلفة من الصمت، هو الذي يحمي حقيقة ما بداخلنا ويجعلنا أناس قليلو الكلام وقد يكون الملاذ الأخير في كثير من المواقف التي نمر بها في حياتنا اليومية لأن هناك أشياء تولدنا؟ أشد الألم وحين نبوح بما ينتج عنها ألم أشد لذلك نلجأ للريشة وهي التي تصرخ وتعبّر بكل حرية.

والفن يستفيد من هذا حيث يجعل الصورة الصامتة تنقل لنا عوالم كثيرة فرحة ودمعة لا يسهو نقلها بالكلام. ولذلك يطلق عن الفن تميزاً عن لغة الكلام اللوحة التي تحمل موضوعاً يعبر عن الطبيعة، أو تجريدية هي التي تثير مستويات لغة الفهم وتنقل ما لا ينقله الكلام.

شهد عام 2003 و 2005 ثم 2007 نشاطاً واضحاً لك ما السر في ذلك؟

سنة 2003 أعتبره من أهم الأعوام في حياتي كرسامة مبدعة حيث بدأت بالمشاركة في برنامج "تونس اليوم" بمدينة بوعرادة ومن هنا بدأت تفتح أمامي أبواب النجاح في إعداد المعارض والتعرف على رسّامين وشعراء من أبناء مدينتي وتشجيعي على مواصلة الرسم والإبداع، وتلقي العديد من شهادات التشجيع والتكريم ونجّاحي في امتحان التزويق على البلور والرسم.

أما سنة 2005 فهي بداية نجاح ثمرة موهبتي وصدور ما أبدعته بكتاب مجلة الإتحاف بسليانة على نحو كتابين، مشكورين جميعا وإنشاء الله تكون الأعوام القادمة أحسن.

- هل تضرّك الحياة أن تفعل شيئا بدون اقتناع؟

- أنا لا أفعل شيئا بدون اقتناع وموهبتي حرة ولست مقيدة بأي موضوع. فالريشة والألوان هم موسوعة فكرية وفنية لإبداعي الفني وحين تعرّضت للأمر بالتقيد فقد ارتسمت على وجهي دون أن أرى وجهي علامات الغيظ حينها اتضح لي أن الرسم هذا الفن الجميل سوف يقودني إلى الرسوم المقيدة بموضوع معين يطرحه الآخرون على أفكاري، وبعد ذلك فكرت بأن أكون حرة وأحمل بين أصابعي ريشة حرة وأحاول أن أحرق من كل أنواع الرسم الذي يأمرني به الآخرون، وأن أحتفظ على ما كنت أؤمنه في فؤادي منذ دهر صبيانية. أن أكون رسامة. وقد تركت بعضها عثوفا فوق حوائط قديمة في قرية جدّي، أقصد تلك الرسوم ذات خريشات وبصمات بريئة طفولية، بالطباشير أو لون أوراق الأشجار أو الحشيش أو بالحصى أو المسمار على الأبواب أو الجدران وحتى أغصان الأشجار التي لم تسلم من حفري وخدشي لها.

كنت كثيرا ما أجلس على صخرة وأمعن طويلا في السماء ذلك كان دوائي الوحيد لمعالجة ما أنا فيه... والأكثر من ذلك عندما أحرّك الفرشاة بالألوان

وأجعلها حرّة خارج خطوط المحاصرة كي أحسّ بالحرية معها وبالتأكيد
سأمضي وراء ريشتي حتّى أحصد ما جنته وما ستجنيه يدي.
-ولماذا لم تواصلني كتابة الشعر والخواطر؟

-رغم نجاحي في كتابة الشعر فإنّ الرّسم هو الذي أخذني وسحرتني وجذبي
خاصّة وأنّ عديد المشاهدين رأوا في إبداعي شيئاً ما يمكن أن يحقق لي
التّجّاح في تونس أو خارجها... وكما أحببت الرّسم بالكلمات فأنا أحبّ



الرّسم بالألوان وعندما أكتب الشعر، لا يشغلني أيّ مصطلح على الإطلاق
فأيّ أفكار كبيرة أستمتع بقراءتها قبل كتابتها لأنّ الإنسان يتعلّم من الفن
وأيضاً من البشر. وأحسّ أنني "لست ريشة في مهبّ الريح"، مخلوقة لها
أصل، لها جذور ولها هدف.

- علمت مؤخراً بأنّ لك إخوة شبّان ولكنهم فنّانين مثلك ما السرّ في هذه
الموهبة وخاصة أنّكم عائلة فنانة وأنتم في سن الزهور؟

-دائما وأبدا أقول الحمد لله على نعمه، صحيح أن إخوتي موهوبين فيهم من تكتب الشعر ومن يرسم وينحت على جميع المحامل ومن ينشط بالكشفة وهو شغوف بالمطالعة.

-لماذا لا يعرف الجمهور التونسي والفنانين منهم أخبار وإبداع رسلك؟
-في الحقيقة لم تنح لي الفرصة ثانية للإعلان عن ذلك بوسائل الإذاعة ولكن بالجريدة أتيت لي عدة فرص رفضتها، فأنا بعيدة كل البعد عن ذلك وكل أمني المزيد من النجاح والتقدم في الإبداع والتقنيات الفكرية واللونية.

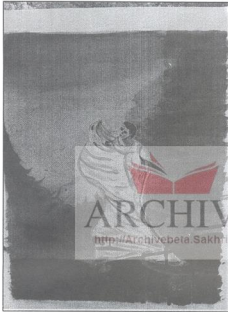
-هل ستكون خطواتك المقبلة بين وسائل الإعلان بالتلفزة أو الجريدة؟
-أريد أن أبدع وأن أعد معرض ناجح بإذن الله وأن أعرف بنفسي وقتي التشكيلي في تونس من خلال المعرض، ووسائل الإعلام، وقد أتعامل مع بعض الرسامين مثل بوخلال... والرسامين الجدد الذين أشاهدهم من خلال شاشة التلفزة...

أعرف أن معاناتي كبيرة جدا كفنانة من إنحاز ما أحلم به من إبداع فإن قدرتي الفنية وموهبتي كرسامة تفوق الماديات وتتحدى كل العراقيل، وأنا بدوري أجعل أوقاتي نصفين، أحاول أن أغتسم نصفًا وأجازف بالثاني، ساعة أضيفه وساعة أخرى أغنم بالنصف الضائع.

هل تنوين المشاركة في معرض رسم هذا العام؟

-أنا مستعدة للمشاركة في كل المعارض وسأقدم فني وإبداعي الذي هو شغفي الوحيد وشغلي الشاغل وأتمنى فعلا لو تناح لي الفرصة للمشاركة

لأنني بحاجة لمعرفة آراء المبدعين والموهوبين والفنانين بصفة عامة وأتمنى أن
انجح فعلا بدون بحاملة وملاحظات طيبة.



-المنافسة والنقد مع
أبناء جيلك هل تسبّب
لك المشاكل؟
-أولا احترم رؤية
المشاهد لان الناقد من
حقه أن ينظر كيفما
يشاء وهذه الحرية
مكفولة للرسام المبدع
وللناقد أيضا. ولكن لا
بد من وجود منافسة
ونقد وإلا بماذا سيكون

نجاحي وماذا ساجني وسط إبداع بدون نقد ومعرض بدون منافس.
-هل هناك معرض جديد؟

-إن شاء الله أنا ألان بصدد رسم لوحات جديدة لإعداد معرض رفقة أخي
عز الدين الفنان التشكيلي وهو طالب بكلية الفنون الجميلة بالعمران بتونس
والرسام الشام نعم الدين القطيطي ولي الشرف ومن حسن حظي أن اعرض

معه للمرة الثانية هذا المعرض تحت إشراف الشاعر عادل الطرابلسي فهو صاحب الفكرة وأول مشجع للشعر الصامت والرسم بالألوان.

- أمنية جديدة في السنة الجديدة؟

- اعد نفسي بان لا استسلم للغرور وان أظل قرية من الذي يشجعني ويساعدني وان أكون صبورة وأمنيّي المزيد من النجاح والالتقاء بحضور معلمتي السيدة عجمية الريا حي حرم المرحوم يونس الريا حي.

- هل تحاولين من خلال هذه الألوان المزج بين حياتك الفنية حياتك العادية؟

- هذا سؤال صعب والرسم لا يخرج من جلده حينما يرسم. صحيح أنني اعبر عن أفكاري وعن إحساسي وما أشعر به وما يشعر به الآخرون وما يدور من حولي.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- اللوحة هنا انفتح الموضوع فيها المعقول على اللامعقول وامتزجت فيها الحقيقة بالخيال.. صحيح؟

- كما ذكرت لك هذا أسلوب في الرسم بوصفه وسيلة لرؤية الواقع والرسم، الحلّ هو المنظار الذي يرى به الفرد العالم من حوله وحتى لو قلنا إننا نظرنا لواقعنا أو على الأقل واقع هذا المكان الذي أتحدث عنه، هذا المكان الماضي والحاضر والمستقبل، الواقع والحلم، كلّ الأمور مخلوطة في حياة الإنسان.

الحياة الكاملة تعني أن الناس يعيشون وهم يحملون كل هذه المكونات وان الرسام في هذه الحالة مضطر لان يهمل جميع هذه العناصر ويأخذ الواقع الذي يراه ويصبح المعنى أي نحن اقرب من الذين يزعمون أنهم واقعيون. وارى إن الرسم بوصفه تواصلًا ثقافيًا فعالًا حوارًا وتواصلًا يعبر عن التراث



والهوية الفنية وطابع الحياة اليومية للفنان بصفة عامة والألوان هي الوسيلة الفعالة للمحافظة على هذا الطابع الفني والدافع على الابتكار والإبداع والنضال ضدّ القهر وهذا يبرز دور الفن التشكيلي كأداة للمبدعين من جانب وكسلاح من خلال الريشة والألوان فهي بوصفها حصادًا يتمّ التفاعل معه وإدماجه في مسار الحياة اليومية وجميعنا كما هو واضح ذو صلة وثيقة بالفن بوصفه أداة محورية لتوظيف الحصاد الثقافي ونشره وتوظيفه وتحديدته. فانا ارسـم لأشارك الآخرين واعرف وأتعرف وأكوّن حسّي وذاتي كرسامة.